جامعة بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

بعض آليات الحجاج اللغوية والبلاغية في القرآن الكريم "سورة آل عمران أنموذجا"

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبة
بوقماشة نجاة

تحت إشراف:
د. عليك كايسة

اعضاء لجنة المناقشة

الأستاذة: بوعياد نوارة ..... رئيسا

الأستاذ ة: عليك كايسة، أستاذة محاضرة قسم أ..... مشرفا

الأستاذ: جيلي محند الزين .....مناقشا

السنة الجامعية: 2019/2018

إهداء

في بادئ الأمر أشكر الله تعالى الذي وفقني في إتمام العمل.

إلى من لا يمكن لكلمات أن توفي حقها ولا يمكن للأرقام أن تحصي فضلها التي ربتني وعلمتني معنى الحياة، والنجاح وأعانتني بالصلوات والدعوات إلى أغلى شخص في الوجود أدامها الله لي **"أمي الغالية "**

إلى أختي العزيزة رفيقتي وصديقتي أعانها الله في أمور حياتها **"ناسية"**

إلى أستاذتي **"عليك كايسة"** التي منحت لي يد العون خلال هذه الفترة وساندتني في إتمام بحثي.

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الخاص إلى أستاذتي المشرفة على بحثي **"عليك كايسة"**،
كما أتقدم بالشكر لكل أستاذة قسم الآداب واللغة العربية.

مقدّمة

الفصل الأول

الفصل الأول

بعض آليات الحجاج اللغوية والبلاغية في القرآن الكريم "سورة آل عمران أنموذجا"

المبحث الأول: بعض المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها البحث

المبحث الثاني : الحجاج في الدراسات الغربية والعربية القديمة

المبحث الثالث: الحجاج في الدراسات الغربية والعربية الحديثة

المبحث الأول

بعض المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها البحث

1 . تعريف الحجاج

2 . تعريف الخطاب

3 . تعريف الخطاب الحجاجي

4 . تعريف الخطاب القرآني

5 . الحجاج والمصطلحات المرتبطة به

6 . التعريف بمدوّنة البحث

المبحث الثاني
الحجاج في الدرسات الغربية والعربية القديمة

1 . الحجاج في الدراسات الغربية القديمة:

1 . 1. الحجاج عند السفسطائيين

1 . 2. الحجاج عند أفلاطون

1 . 3 . الحجاج عند أرسطو

2 . الحجاج في الدراسات العربية القديمة

2 . 1 . الحجاج عند الجاحظ

2 . 2 . الحجاج عند ابن وهب

2 . 3 . الحجاج عند السكاكي

المبحث الثالث

الحجاج في الدراسات الغربية والعربية الحديثة

1 . الحجاج في الدراسات الغربية الحديثة

1 . 1 . الحجاج عند بيرلمان وتيتكا

1 . 2 . الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر

1 . 3 . نظرية المساءلة عند ميشال ماييير

2 الحجاج في الدراسات العربية الحديثة

2 . 1 . الحجاج عند أبي بكر العزاوي

2 . 2 . الحجاج عند محمد العمري

2 . 3 . الحجاج طه عبد الرحمن

2 . 4 . الحجاج عند عبد الله صوله

مقدمة:

لقد شكل موضوع الحجاج محور اهتمام العلماء والباحثين قديما وحديثا، إذ اهتم به الفلاسفة والبلاغيون واللغويون، فقد بدأ البحث في هذا الموضوع عند الإغريق من خلال دراساتهم للخطابة والجدل والبلاغة، كما اهتم العرب بهذا الموضوع وأولوه اهتماما كبيرا، ثم تعرض للركود لعدة قرون، وفي منتصف القرن العشرين برز تيار جديد يسمى بالتيار التداولي الذي ترعرع في أحضان الفلسفة التحليلية والمهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، حيث استفادت التداولية من حقول معرفية مختلفة، فاستحدثت منهجا جديدا ومفاهيم وأسس لدراسة اللغة دراسة وظيفية بالتركيز على الجانب الاستعمالي التداولي للغة، وقد شكّل الحجاج مبحثا أساسيّا من مباحثها سعيا إلى تحليل اللغة تحليلا يكشف عن الاستراتيجيات والطرق والآليات التي يلجأ إليها مستعمل لغة لاستمالة المتلقي والتأثير فيه عن طريق الحجج ودفعه إلى الإذعان والتسليم بالقضية المرغوب في إقناعه بها، وهذا ما حفّز العلماء كذلك على إحياء التراث البلاغي القديم تحت تسمية البلاغة الجديدة والتي يشكل الحجاج واحدا من أهدافها.

ويعتبر النص القرآني نصا حجاجيا بامتياز كونه جاء لينظّم حياة الناس وتربيتهم وتثبيت أركان عقيدتهم، وبالتالي إقناعهم بأحكام دينهم وتوجيههم للالتزام بها عن طريق الحجّة والإقناع، وعليه، فإنّ مدونة البحث تتمثّل في النص القرآني، وتشكل سورة آل عمران عيّنة الدراسة، كون هذه السورة تستهدف **الثبات** على المنهج الذي عرضه الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة، فجاءت سورة آل عمران بعد هذه الأخيرة لتدلّ المؤمنين على الطريقة التي تساعدهم على الثبات على ذلك النهج حتى لا يضلوا أو يتخاذلوا فيما بينهم، لذلك فإنّ سورة آل عمران تسعى إلى التأثير في المتلقي عن طريق إقامة الحجة لتحقيق الثبات الداخلي للفرد.

انطلاقا ممّا سبق فإنه من دواعي اختيار هذا الموضوع الموسوم "**بعض آليات الحجاج اللغوية والبلاغية في القرآن الكريم سورة آل عمران أنموذجا**": أهمية الحجاج باعتباره من

بين مقتضيات العصر تعتمده كل الخطابات لتحقيق أغراض مختلفة على أساسها التأثير في المتلقي، فذلك قد شغفني للبحث فيه أكثر.

_ التعرف على الآليات المحققة للإقناع.

_ الكشف عن آليات الحجاج اللغوية والبلاغية في الخطاب القرآني وبيان قيمتها.

وتتمثل أهمية هذا الموضوع في كونه موضوعا حديثا له جذور تأصيلية قديمة، وأنّ للحجاج أهمية بالغة نظرا لما يحدثه من أثر في المتلقي وتوجيه تفكيره وتغيير سلوكاته.

وانطلاقا ممّا سبق، يمكن صياغة الإشكالية التي يعالجها هذا البحث في مجموعة من أسئلة، أهمها:

. ما الحجاج؟ وما الخطاب؟ وما هي العلاقة التي تربط بينهما؟

. ما هي أهم النظريات الحجاجية التي طورها الغربيون والعرب؟

. فيم تتمثل الآليات اللغوية والبلاغية الحجاجية؟ وإلى أي مدى تتكامل هذه الآليات لتحقيق الإقناع في الخطاب القرآني؟

وقد اعتمدت في معالجة هذه الإشكالية على تقنيات كل من المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، فقد اعتمدت تقنية الوصف من أجل عرض بعض المفاهيم والمعلومات والأفكار المتعلقة بموضوع البحث وهو الحجاج، ووصف بعض الآليات الحجاجية في سورة آل عمران، وآلية التحليل لتفسير وتحليل ما تم رصده من معلومات خلال فصول البحث، مع تقديم تحليل لنماذج من الخطاب القرآني.

ويتضمّن البحث مقدمة، وفصلين وخاتمة.

. **الفصل الأول:** عنوانه "**الحجاج في الدراسات الغربية والعربية**" ويتضمن ثلاثة مباحث، يتناول المبحث الأول المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها البحث، وهي مفهوم الحجاج والخطاب، والخطاب الحجاجي، ثم الخطاب القرآني، وقد تمّ التطرق من خلاله لبعض

المصطلحات المرتبطة بالحجاج، وعالج المبحث الثاني بعض نظريات الحجاج عند علماء الغرب والعرب القدامى، ويتضمن المبحث الثالث بعض نظريات الحجاج عند علماء الغرب وبعض إسهامات الباحثين العرب المحدثين في الموضوع ذاته.

. **الفصل الثاني:** عنوانه «**بعض آليات الحجاج اللغوية والبلاغية في سورة آل عمران**» قسمته إلى مبحثين، المبحث الأول يتناول بعض الآليات اللغوية، أمّا المبحث الثاني فقد خُصص للآليات البلاغية.

والخاتمة: تتضمن نتائج البحث.

ومن أهم المراجع التي تناولت الحجاج في القرآن، وتمّ الاعتماد عليها في البحث:

. الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، ط1، دار الفارابي، بيروت لبنان، 2011.

_ الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت لبنان، 2010.

_ تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجا، حياة دحمان، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة الجزائر، 2013/2012.

_ البنية الحجاجية في قصص الأنبياء دراسة في ضوء تحليل المحدثات، زقرور نجمة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة محمد دباغين، سطيف الجزائر، 2018/2017.

_ الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجا، إيمان درنوني، بحث مقدم لنيل شهاد الماجستير في اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر، باتنة_ الجزائر، 2013/2012.

_ السلالم الحجاجية في قصص القرآني _مقاربة تداولية_ بوسلاح فايزة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2015/2014.

أمَا صعوبات التي صادفتها خلال إنجاز هذا البحث، فتتمثل في صعوبة فهم لغة الكتب القديمة، وعدم القدرة على الإلمام بكل القضايا التي تحيط بموضوع الحجاج والتعرض لجميع الآليات اللغوية والبلاغية الموظّفة في سورة آل عمران، وذلك نظريا لضيق الوقت.

. وأرجو من الله التوفيق.

الفصل الأول

الفصل الأول

الحجاج في الدراسات الغربية العربية

المبحث الأول: بعض المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها البحث

المبحث الثاني : الحجاج في الدراسات الغربية والعربية القديمة

المبحث الثالث: الحجاج في الدراسات الغربية والعربية الحديثة

الفصل الأول:

الحجاج في الدراسات الغربية والعربية

تمهيد:

لم يكن موضوع الحجاج وليد الدراسات الحديثة، بل اهتم به العلماء منذ العصر اليوناني، فالبعض منهم ربطه بالخطابة والبعض الآخر بالجدل والبلاغة، واهتم العرب القدامى بدورهم بهذا الموضوع واشتغلوا عليه من الجوانب نفسها، وقد اتضح مفهوم الحجاج بدقة أكثر عند المحدثين، وذلك بعد عزله عن فن الجدل من جهة، وعن فن الخطابة من جهة ثانية، وظهرت نظريات مختلفة، منها نظريات عالجت الحجاج من منظور بلاغي وأخرى من منظور لساني، وهناك كذلك نظريات في الحجاج ذات توجه فلسفي بحت. وقد بذل المحدثون جهودا معتبرة لاستقلالية الحجاج عن المغالطة والتلاعب بعقول الجماهير وعواطفهم. وقد ركز الفصل الأول من البحث على أهم الدراسات الغربية والعربية القديمة والحديثة التي اهتمت بمسألة الحجاج. ويتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بعض المفاهيم التي يقوم عليها البحث.

المبحث الثاني: الحجاج في الدراسات الغربية والعربية القديمة.

المبحث الثالث: الحجاج في الدراسات الغربية والعربية الحديثة.

المبحث الأول

بعض المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها البحث

1 . تعريف الحجاج

2 . تعريف الخطاب

3 . تعريف الخطاب الحجاجي

4 . تعريف الخطاب القرآني

5 . الحجاج والمصطلحات المرتبطة به

6 . التعريف بمدوّنة البحث

المبحث الأول

بعض المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها البحث

تمهيد:

تُعتبر اللغة الوسيلة الأساسية للتواصل بين أفراد المجتمع، فبواسطتها يتم إنتاج خطابات مختلفة وتقام علاقات بين الناس بهدف الوصول إلى التفاهم والتأثير والإقناع رغم وجود اختلاف في المستويات العلمية والفكرية والاجتماعية والثقافية للمتخاطبين، فنحن نستخدم أساليب تحمل أفكارا وآراء أثناء تواصلنا مع الغير، ونسعى دائما إلى جعل أفكارنا هي الأقوى وهذا يستلزم طرح أدلة وحجج للدفاع عن تلك أفكار من أجل إقناع الغير، وجعله يصدق كلامنا أو يعترض ويحاججنا بأدلة وبراهين وحجج، فالحجاج هو ضرورة إنسانية ظهرت منذ عصور قديمة وحظيت باهتمام الدارسين منذ العصر الإغريقي، من خلال دراسات علماء الإغريق للخطابة والجدل والبلاغة، ومع تقدم الزمن أصبح الحجاج لب الدراسات الحديثة وأصبح الشغل الشاغل لدى العلماء والباحثين، فأقاموا بحوثا حوله وتناولوه من جوانب مختلفة (اللغوية، التداولية، البلاغية، والفلسفية) فوضعوا له نظريات، وحاولوا تطبيق تلك النظريات على عدة خطابات، وذلك نظرا لأهمية الحجاج في حياة الإنسان، ودوره في التأثير على المتلقي ومحاولة إقناعه بأفكار وآراء ومبادئ معينة، ويتجلى ذلك بوضوح أكثر في الخطاب القرآني كونه يستخدم أنواعا مختلفة من الحجج والبراهين قصد التأثير على مواقف واعتقادات المتلقين، فالقرآن خطاب حجاجي يخلق التفاعل والتأثير على المتلقين بفضل ما يزخر به من أساليب حجاجية.

1. تعريف الحجاج: يعد الحجاج مبحثا له فعالية لغوية وعقلية واجتماعية، يستخدم كغاية للإقناع ويحدث هذا في نقل الأخبار وتبادل الآراء والأفكار بين المتخاطبين، وقد تناولت دراسات كثيرة قضية الحجاج قديما وحديثا نظرا لأهميتها في حياة الأفراد، كما اهتم الدارسون بتعريف مصطلح الحجاج لغة واصطلاحا.

1 . 1 . لغة: وردت كلمة الحجاج في معجم لسان العرب لابن منظور على جذر حجج، «يقال: حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجًا ومحاجّةً حتّى حَجَجْتُه أي غَلَبْتُه بالحُجَجِ الّتِي أدْلَيْتُ بها»[1]، يدل هذا القول على المتكلم الذي يقدم أدلة لتقوية صحة كلامه.

والحُجّة: هو «البُرْهان؛ وَقيلَ: الحُجّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ؛ وَقَالَ الأَزهري: الحُجَّة الْوَجْهُ الّذِي يَكُونُ بِهِ الظّفَرُ عِنْد الْخُصُومَةِ. وِهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ. والتّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجًا: نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبَهُ عَلَى جُجّتِه»[2]، بمعنى يجدل المحاجج بخطابه الطرف الثاني من خلال ما يقدمه من حجج وأدلة ليبرهن على صحة كلامه.

قَالَ الأزهري: «إنما سُمِّيَتْ حُجَّة لأنها تُحَجُّ أي تقتصد لأن الْقَصْدَ لَهَا وإليها؛ وَكَذَلِكَ مَحَجَّة الطَّرِيقِ هِيَ المَقْصِدُ والمَسَلَكُ»[3]، يقصد الأزهري بالحجة الطريق والمسلك الواضح للوصول إلى المقصد الحقيقي.

وقد ردت كلمة الحجاج في معجم أساس البلاغة لزمخشري المتوفي (538هـ)، لقوله: «إحتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب. وحاج خصمه فحجه»[4]، تدل كلمة الحجاج إذن على إثبات الكلام بعطاء دليل ينفى فكرة خصمه.

---

[1]. ابن منظور، لسان العرب، ط1، مجلد 2، دار صابر، بيروت_ لبنان، مادة (ح ج ج)، 1993، ص228.

[2]. المصدر نفسه، مجلد نفسه، ص228.

[3]. المصدر نفسه، ص228.

[4]. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ط1، ج1، دار العلمية بيروت لبنان، 1998، ص169.

ونجد تعريفا لكلمة حجج في معجم الصحاح للجوهري المتوفي (393هـ)كما يلي: «الحَجُّ: القصد. ورجل مَحْجوجٌ، أي مقصود. وقد حجَّ بنو فُلانٍ فلاناً، إذا أطالوا الاختلاف إليه»[1]، فكلمة الحجُّ حسب معجم الصحاح تدل على القصد، ويطلق على الشخص الذي تكون له الأدلة محجوجٌ.

وقد ذكرت كلمة الحجاج في معجم قاموس المحيط للفيروزآبادي بمعنى: «القَصْدُ، والكفُّ والقُدُومُ، وسبْرُ الشَّجَّة بالمِحْجاجُ : للمِسْبارِ، والغَلَبَةُ بالحُجَّة وكَثْرَةُ الاخْتلافِ والتَّرَدُّدِ، وقصدُ مَكَّةَ لِلنُّسُكِ، وهو حاجٌّ وحاجِج، ج: حُجّاجٌ وحجِيجٌ وحَجٌّ، وهي حاجَّة من حوَاجَّ ...والمحْجاجُ: الجَدلُ، وأحْجَجْتُهُ: بَعَثْتُهُ لِيَجُجَّ»[2]، يشير هذا القول إلى أن الحجاج يدل على القصد والجدل والدحض.

وقد وردت كلمة الحجاج في القرآن الكريم في العديد من الآيات ونذكر البعض منها:

1_ قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ أَمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ **لِيُحَاجُّوكُم** بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[3]

2- قال تعالى: ﴿فَمَنْ **حَاجَّكَ** فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ اَلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى اَلْكَاذِبِينَ﴾[4].

3_ قال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ **أَتُحَاجُّونِّي** فِي اللهِ وَقَدْ هَدانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَّشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا اَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾[5].

---

[1]. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، 1987، ج1، ص303.

[2]. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2005، ص183.

[3]. سورة البقرة، الآية 76.

[4]. سورة آل عمران، لآية 61.

[5]. سورة الأنعام، الآية 80.

يتضح من خلال التعريفات السابقة أنّ لفظة (الحجاج) تحمل في القوامساللغوية العربية المعاني التالية: الأدلة، الخصومة، الجدل، البرهان والدليل.

1 . 1. اصطلاحا: يتمثل الهدف الأساس من إنتاج أي خطاب في إيصال أفكار أو مقاصد معينة إلى المخاطَب وهذا يستدعى تقديم عدد مقبول من الحجج بعد أن يتم انتقاؤها وترتيبها ترتيبا منظما من أجل الدفاع عن أفكار معينة فتترك أثرا بارزا في المتلقي، وبالتالي إقناعه.

ويعد مفهوم الحجاج من المفاهيم المثيرة للالتباس، تطرق إليه العديد من اللسانيين فقدموا له مجموعة من التعريفات، فيعرّفه الفيلسوف البلجيكي بيرلمان وزميله تيتكا بأنّه: «جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع»[1]، إذ يركز بيرلمان في تعريفه هذا على الجانب البلاغي، فالحجاج من منظوره جملة من الأساليب البلاغية التي تزيد في الخطاب قوة تأثيرية وتزيد في درجة إقناع المتلقى. ويرى بيرلمان أنّ: «الفعل اللغوي عبارة عن عمل جاد وليس نوعا من التسلية الكلامية وبالتالي فإنّه يتطلب ممارسه قناعة ذاتية ووثوقا به نفسيا وعضويا»[2]، بمعنى أنّ الفعل اللغوي ذو تأثير على المتلقي كونه ذي وظيفة إنجازية تحمل مقصدا تواصليا يستهدف التأثير في المتلقي.

ويعرف ديكرو الحجاج بأنّه «مجموعة من الترتيبات والاستراتيجيات التي يستعملها المتكلم في الخطاب قصد إقناع سامعيه»[3]، فهو تلك الوسائل التي تنظم الحجج في الخطاب قصد إذعان المتلقي.

---

[1]. سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2007، ص21.

[2]. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، 2008، ص125.

[3]. جاك موشلر _ آن ريبول، القاموس الموسوعيّ للتّداولية، تر: مجموعة من الأستاذة والباحثين، د ط، دار سيناترا، تونس، 2010، ص93.

ويذهب ميشال ماييير (Michel Meyer) في نظريته المساءلة، إلى أنّ «الحجّاج يعنى في حوار الأفكار: طرح الأسئلة، والقدرة على إثارة الإشكال تجاه الفكرة، أي الهجوم على الفكرة بمساءلتها مقابل الدفاع عنها من قبل المتكلم»[1]، يقصد ماييير من خلال ما سبق أنّ الحجّاج عبارة عن حوار الأفكار، بمعنى عملية التخاطب القائمة بين المتكلم الذي يثير فكرة بطرحه سؤال ما أو مجموعة من الأسئلة، والتي تتحول بدورها إلى إشكالية بينه وبين المتلقي، هذا الأخير يفترض أنه يهاجم أو يعترض الفكرة بمجموعة من التساؤلات، وهنا يأتي المتكلم بجواب لدفاع عن فكرته بتقديم حججّ تدل على صحة الفكرة، ففي هذه الحالة لا يعنى نهاية التخاطب، يمكن أن يواصلا الحوار «فالجواب لا يعنى إغلاق البحث»[2]، بمعنى مواصلة النقاش وهذا يفترض استحضار نوع من الذكاء بين طرفي عملية التخاطب لكي يكون الحوار على الاستمرارية، ويمكن أن يؤدي إلى الدخول في إشكاليات أخرى.

ويؤكّد ماييير في دراسته للبلاغة والحجاج أنّ «الحجاج يشمل جميع ضروب الخطابات والنصوص الشفوية والمكتوبة التي يقصد منها حمل المخاطبين على تبني مواقف معينة»[3]، والمقصود من هذا الكلام أنّ جميع أنواع الخطابات تتضمّن حججا وتسعى إلى التأثير في المتلقي وجعله يتّخذ مواقف إزاء القضايا التي تتضمّنها تلك الخطابات، والرّد على تلك الحجج بالإثبات أو النفي.

فالحجاج يعني تقديم الأدلة والبراهين، وهو «طريقة في عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعا فعّالاّ، وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجّاجية، غير أنّه ليس معيارا كافيا، إذ يجب ألاّ تُهمَل طبيعة السامع (المتقبّل) المستهدف. فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع، ومدى تقنيات الحجاجية

---

[1]. محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت_ لبنان، 2014، ص27.

[2]. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص135.

المستخدمة في إقناعه، فضلاً عن استثمار الناحية النفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه»[1]، يركّز هذا التعريف على ضرورة مراعاة طبيعة المتلقي من أجل إنجاح الخطاب، وانتقاء الحجج المناسبة لإقناعه.

ويعرف طه عبد الرحمن الحجاج: «أنّه كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض»[2]، يعتبر طه عبد الرحمن الحجاج أنّه كل ما يتلفظه المتكلم بنية توجيهه للمتلقي قصد إفهامه ويحق للمتلقي الاعتراض على فكرة المتكلم وله حرية التعبير عن رأيه.

2 . تعريف الخطاب:

2 . 1 لغة: يشير ابن منظور في معجمه (لسان العرب) إلى كلمة الخطاب في مادة (خ ط ب) قائلا: «يقال خطب فلانُ إلى فلانٍ فخطَبَّه وأخطَبَه أي أجابه»[3]، يعنى تحدث شخص إلى شخص آخر، أو طلب استفسارا عن شيء فأجابه.

«والخِطابُ والمُخاطبة: مُراجعة الكلامِ، وقد خاَطَبَه بالكلامِ مُخاطَبَةً وخِطابًا، وهُما يَتخاطبانِ»[4]، يقصد من هذا القول بأنّ لفظ الخطاب يدل بصفة عامة على إلقاء رسالة من متكلم معين موجهة إلى جمهور معين، ونية منتج الخطاب هي التأثير على المتلقي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يدل على عملية التخاطب، والدليل على هذا قوله (وهما يتخاطبان)، بمعنى مشاركة المتلقي، أي هناك تبادل الآراء في موضوع معين المخاطِب والمخاطَب وهكذا ينتج نوع من التفاعل بينهما حسب نوع الخطاب.

وقد عرّف الجوهري في معجم (الصّحاح) لفظ الخطاب قائلا «خطب: سبب الأمر. تقول: ما خَطْبُكَ. وخَطبت على المنبر خُطْبَةً بالضم. وخاطبه بالكلام مُخاطَبةً وخِطابًا...

---

[1]. صابر الحباشة، التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سوريا دمشق، 2008، ص21.

[2]. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، 1998، ص2.

[3]. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خ ط ب)، مجلد1، ص361.

[4]. المصدر نفسه، الصفحة نفسه.

والخطيبُ: الخاطبُ»[1]، فكلمة الخطاب في معناها اللغوي تدلّ على (ما خَطْبك) أي ما هو كلامك أو حديثك، خطبت على المنبر معناها حسن ومعرفة الكلام على المنبر، أي حسن الطريقة في أداء الكلام على المنبر، كما تدل على المحاورة والتواصل.

وقد وردت كلمة الخطاب في النّص القرآني في عدة آيات كما يلي:

1_ قال تعالى: ﴿قالَ مَا **خَطْبُكُنَّ** إذْ رَاودَتُّنَّ يُوسُفَ عن نّفْسِهِ، قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوْءٍ قَالَتِ امْرَأَة الْعَزِيزِ ٱلآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنا رَاوَدتُّهُ عن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2].

2_ قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهَ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ **الْخِطَابِ**﴾[3].

3_ قال تعالى:﴿إنَّ هذَا أخِي لَهُ تِسْعٌ وَتسْعُون نَعْجَةً ولي نعجةٌ واحِدةٌ فقالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزّني في **الخِطَابِ**﴾[4]،

2 . 2 . اصطلاحا: مصطلح الخطاب هو من أهم المصطلحات الشائعة في العديد من الحقول المعرفية، وقد لقي هذا المصطلح اهتماما كبيرا من قبل دارسي اللغة، وحظي بتعريفات كثيرة، وكلّ كيف يعرّفه أو يربطه بتخصصه، وسنحاول ذكر بعض هذه التعريفات بالتركيز على تلك القريبة من موضوع هذه الدراسة والمتمثلة في الحجاج.

يرى اللغوي الأمريكي هاريس (Z. Harris) أنّ الخطاب بمفهومه العام «يتكون من وحدة لغوية قوامها سلسلة من الجمل»[5]، يعني أنّ مصطلح الخطاب بالنسبة لـ (هاريس) يطلق على مجموعة من الجمل المتتالية والمترابطة فيما بينها.

ويرى بنفنيست (Emile Benveniste) أنّ الخطاب هو «كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما»[1]، يشير هذا القول إلى أنّ

---

[1]. أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج1، ص121.

[2]. سورة يوسف، الآية 51.

[3]. سورة ص، الآية 20.

[4]. سورة ص، الآية 23.

[5]. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص38.

الخطاب هو كل ما ينتجه المتكلم لغرض إحداث التأثير في المتلقي وقد يسعى كذلك إلى التفاعل معه، إذ يعرّف مايكل ستيوارت (**M**. Steward) الخطاب بقوله «تواصل لغوي ينظر إليه باعتباره عملية تجري بين متكلم ومستمع أو تفاعل شخصي يحدد شكله غرضه الاجتماعي»[2]، يعنى هذا أنّ الخطاب هو استعمال لغة من قبل متخاطبيْن أو أكثر عن طريق التفاعل من أجل تحديد الأدوار، كالرسالة (أو الخطاب) ومنتج الخطاب والذي يسعى إلى تحقيق هدف ألا وهو التأثير في المتلقي، وهذا الأخير يقوم بتفكيك الخطاب من أجل الوصول إلى الاستيعاب وفهم المضمون الذي ينقله له، مع الأخذ في الاعتبار الظروف التي أسهمت في تشكيل الخطاب منها الظروف الاجتماعية والثقافية والفكرية...إلخ.

ويعرف ميشال فوكو (P. M. Foucault) الخطاب بأنّه «شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب»[3]، فالخطاب بهذا المعنى مرتبط بممارسة اللغة في الاستعمال، إذ يُخرج فوكو تعريف الخطاب من المنظور الشكلي البنيوي ويركز عليه باعتباره لغة في الاستعمال، ويعتبره كذلك شبكة معقدة من النّظم، فكلّ اختصاص له قضايا خاصة به يعالجها بطريقة معينة وبأسلوب خاص، فالمجال الاجتماعي يفرز خطابا اجتماعيا له مصطلحات خاصة به وأسلوب الخاص، ومجال الثقافة يفرز خطابا ثقافيا، والمجال الديني يفرز خطابا دينيا، ... وهكذا.

وهناك من يعرف الخطاب بأنّه: «كلام موجه إلى متلق بقصد التأثير والإقناع، أو المشاركة الكلامية بين طرفي الاتصال مشافهة أو كتابة للتأثير والإقناع ولتحقيق مقاصد اتصالية»[4]، فالخطاب هو إنتاج كلام من طرف المخاطِب إلى المخاطَب، ونية الأول التأثير

---

[1]. قعموسي عبد القادر، الخطاب الحجاجي في الفكر النقدي المعاصر "البلاغة والسرد لمحمد مشبال"، أطروحة التخرج لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018، ص19.

[2]. سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، 2016، ص15.

[3]. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، ط1، عالم الكتب الحديث، السعودية، 2009، ص13.

[4]. محمود عكاشة، تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، ط1، مكتبة الرشد، 2014، ص13.

وإقناع الثاني من خلال إيصال المقاصد بطريقة تناسب المقام، ويمكن أن يكون الخطاب شفويا كما يمكن أن يكون مكتوبا.

ويشترط أن يكون للخطاب ظروف الإنتاج، حيث «لا وجود لخطاب بدون أن يكون مظروفا في مقامه، ولا يمكن أن نعيّن حقا معنى لخطاب خارج المقام، زيادة على هذا فالخطاب يساهم في تحديد مقامه»[1]، بمعنى أن الخطاب هو إنتاج لغة في ظروف معيّنة، هذه الأخيرة هي السبب في وجود هذا الخطاب.

انطلاقا مما سبق، نصل إلى أنّ الخطاب هو استعمال اللغة في ظروف تواصلية معينة، وهو عملية تواصل يحدث من خلالها تفاعل بين المتخاطبين. ولكل خطاب آليات بنوية وبراغماتية تجعله يتميز ويختلف عن بقية الخطابات، وأهم أنواع الخطابات: الخطاب السردي، الخطاب الإخباري، الخطاب الديني، خطاب حجاجي ونحن نركز على الخطاب الحجاجي (والخطاب القرآني).

3 . الخطاب الحجاجي: الخطاب الحجاجي هو نمط من أنماط الخطاب، وهو ذلك الخطاب الذي يستهدف إحداث التأثير في المتلقي وإقناعه بحجج سعيا للدفاع عن موقف ما أو لتبني موقف مغاير، كالنّص الجدلي مثلا، حيث إنّ قصد المتكلم هو ممارسة التأثير على المتلقي، وبالتالي يعتمد حججا لتحقيق ذلك الغرض، ويذهب الباحث عبد الرحمن طه إلى أنّ «حقيقة الخطاب ليس مجرد الدخول في علاقة مع الغير، وإنّما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء والاعتراض، بمعنى أن الذي يحدد ماهية الخطاب إنّما هو ((العلاقة الاستدلالية))، وليس العلاقة التخاطبية وحدها: فلا خطاب بغير حجاج، ولا خاطِب من غير أن تكون له وظيفة ((المدعي))، ولا مخاطَب من غير أن تكون له وظيفة ((المعترض))»[2]، إذ يقرّ عبد الرحمن طه بأنّ الحجاج هو الأصل في الخطاب، وأنّ الخطاب لا يتضمّن

[1]. باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمّادي صمّود، المركز الوطني لترجمة، تونس، 2008، ص183.

[2]. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ص226.

علاقة تخاطبية فحسب، بل يتضمّن كذلك علاقة استدلالية، وهذه الأخيرة هي العلاقة الأصلية في الخطاب تتفرّع عنها العلاقات الأخرى، ويرى أنّ الدخول في الخطاب لا يقتصر على الدخول في علاقة تخاطية مع الطرف الآخر، بل الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء والاعتراض، إلى جانب القصدين المطلوبين في قيام العلاقة التخاطبية وهما «قصد التوجه إلى الآخر وقصد إفهامه مرادا مخصوصا من غير أن يسعى إلى جلب اعتقاد أو دفع انتقاد، ولا أن يزيد في يقين أو ينقص من شكّ»[1]، فإلى جانب هذين القصدين، هناك كذلك قصد الادعاء وقصد الاعتراض، لذلك أشار في مقولته السابقة إلى أنّ «ما يحقق ماهية الخطاب إنّما هو ((العلاقة الاستدلالية)) وليس العلاقة التخاطبية وحدها» والعلاقة الاستدلالية، حسبه، تتحدد من جانب المخاطِب بالادعاء فيكون ((مستدلا))، ومن جانب المخاطَب بالاعتراض فيكون ((مستدَلا له)). فقصد الإدعاء هو أن يقيم الناطق دليلا حول ما يدّعيه وهذا عند الضرورة حتى يكون ما نطق به هو خطاب بالفعل، وقصد الاعتراض هو أنّ ما تمّ النطق به لا يكون خطابا حقا حتى يكون للمنطوق له الحق في مطالبة الناطق بالدليل على ما نطق به، وهذا ما يقصده عبد الرحمن طه بقصد الادعاء وقصد الاعتراض، وبالتالي يحدث التفاعل لدى المتلقي، حيث إنّ التفاعل هو ميزة أساسية للخطاب الحجاجي. فالخطاب الذي ينتجه المتكلم له وظيفة حجاجية، وكل خطاب له حجج خاصة تجعله يختلف عن باقي الخطابات، ولهذا يسمى بالخطاب الحجاجي، حيث إنّ كلّ من طرفي الخطاب يسعى إلى إثبات صحة حجته وطرح أدلة من أجل التأثير على الطرف الآخر وتغيير فكره وسلوكه اتجاه قضية أو موقف ما.

ولكن ليس كل خطاب له بعدا حجاجيا، فقد تكون نهاية خطاب ما لا تهدف إلى إقناع وهذا ما نجده في كثير من الخطابات اليومية والتي قد يكون غرضها التعارف ونقل المعلومات أو تبادلها، فلا يكون هدف تلك الخطابات هو إبراز الحجج والأدلة لدفاع عن

[1]. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ص225.

موقف أو قضية، ولهذا يذهب بلانتن (Plantin) إلى أنّه «من التسرع الاعتقاد أنّ الخطاب يكون لغاية حجاجية فقط، فهناك الكثير من الأقوال نستعملها في شكل عمليات غير حجاجية»[1]، يعنى أنّ هناك خطابات لا تنشئ حججا، ولا تسعى إلى إقناع السامع.

و نجد طه عبد الرحمن يميز الخطاب الحجاجي عن باقي الخطابات فقد عرض الخصائص العامة للخطاب الحجاجي منها: **البناء والدينامية**، فهذه الخاصية هي التي تخلق الحجة، ويجب على المخاطب أن يعرف كيف يختار الحجج ذات قوة تأثيرية وفعالية وتهدف إلى إقناع المخاطَب، وألاّ يبالغ في سرد الحجج في غير مناسبة ممّا يؤدي إلى فشل العملية التواصلية وضعف فعالية الحجج «فالاقتصاد في الأدلة الحجاجية مثلا يكون له دور مهم في عملية الإقناع، إذ المبالغة في سرد الحجج في غير ما مناسبة، يفقد الحجاج فعاليته وقوته، ذلك لأنّ الذهن البشري(...) لا يقوى على معالجة سوى عدد محدود من عناصر القول، لأنّ السامع لا يستطيع الحصول إلاّ على 10% مما يسمع، لذلك ينبغي التركيز على الأهم والأساسي في الحجاج»[2]، ينبغي على المتكلم في عرض حججه أن يتخذ موقفا وسطا بين الاقتصاد والمبالغة، فالاقتصاد في الحجج يؤدي إلى اختلال المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي، كذلك المبالغة في كلام لا فائدة منه يفقد الحجج قوتها وتأثيرها على المتلقي، وبالتالي فشل العملية الحجاجية.

ويذهب بيرلمان إلى أنّ الخطاب الحجاجي «يلزم الباثّ بوجهة نظر معيّنة ويتّخذ من إقناع المتلقّي بها هدفا أساسيا إنّما يبتعد عن كونه مجرد تواصل عادي من جهة أنّه لا يقوم على مجرّد التبليغ الذي يقتضي من المتلقّي مجرد فك الرّموز بواسطة اللغة ليكون الفهم بل يقوم على الفعل في هذا المتلقّي ويقتضي منه تأويلا محدّدا للخطاب وبهذا وحده يكون الحجاج

[1]. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير "مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج"، إفريقيا الشرق، 2006، ص128.

[2]. المرجع نفسه، ص129.

ناجحا والخطاب ناجعا لأنّه تمكّن من تغير وضعية سابقة له»[1]، فالخطاب ليس مجرد عملية تواصلية تكتفي بوظيفة الإخبار والتبليغ، إنّما يحمل بعدا حجاجيا يقتضي على المتلقي أن يستدرك ذلك من خلال فك غموض الخطاب ويؤول مضمونه للوصول إلى الغاية المقصودة منه التي تغير من وجهة نظره السابقة.

4 . الخطاب القرآني: الخطاب القرآني وحي سماوي وهو من بين الخطابات التي تتضمن أساليب عظيمة وتحتوي على معاني عميقة، وبلاغته تفوق أية بلاغة ينشئها بشر، فهي بلاغة إعجازية، ويتضمّن الخطاب القرآني بصفة عامة بعدا حجاجيا، حيث إنّ الكثير من الآيات القرآنية تجادل الكفار واليهود والنصارى وتقدم لهم حججا وبراهين قوية تهدف إلى التأثير على نفسيتهم وإقناعهم بغية ردهم إلى طريق الإيمان بالله ووحدانيته، وهذا شائع جدا في قصص الأنبياء، ويتخذها الله سبحانه وتعالى كوسيلة لبيان قدرته للتأثير والإقناع، فحجج الله عز وجل يكمن فيها المنطق، كما نجد فيها أيضا وسائل بلاغية مبنية على اللغة والمجاز الذي يعتمد في تفسيره على العقل.

ويعرف أحد الباحثين الخطاب القرآني بأنّه: «خطاب إلهي معجز ومن ثم يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهلا _ وبشكل دائم_ لأن يكون من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الحضارية»[2]، أي أنّ القرآن الكريم رسالة من الله لكافة النّاس، يخاطبهم به لهدايتهم وحثهم على الخير، دون التمييز بينهم

«لقد توافر في القرآن من معطيات ما جعله خطابا حجاجيا، وما جعل يصيب كثيرا من العناصر اللغوية فيه مثل الكلمات والتراكيب والصورة، وهي تتكرر فيه تكراراً جعل منها

[1]. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص32.

[2]. لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، 2014، ص93.

خصائص أسلوبه المميزة»[1]، أي أنّ القرآن أُعد خطابا حجاجيا لكونه يحتوي على الوسائل الحجاجية والتي بدورها تؤثر في تركيب الجمل، وهذا ما يجعل أسلوب القرآن يتسم بمميزات خاصة به.

ويتشكل الخطاب القرآني عبر مجموعة من الأنماط الرئيسية والتي من أهمها: الخطاب الإقناعي، الخطاب الحواري، والخطاب القصصي، والخطاب الساخر، فنحن نركز على الخطاب الإقناعي لأنه محل دراستنا، «إنّ من أهم الغايات التي أسس لها الخطاب القرآني هو الخطاب الإقناعي، وذلك أن الخطاب القرآني هو في صميمه ((حقيقة)) يهدف إلى التمكين الحقائق التعليمية التبيينية في نفوس المتلقين عن طريق التأثير والإقناع»[2]، فوظيفة الخطاب الإقناعي تكمن في جعل العقول تتأثر وتقتنع بما يطرح عليه من أفكار.والتأثير في الخطاب القرآني «يخاطب القلب والوجدان أي يخاطب في الإنسان إنسانيته ومشاعره المختلفة من الخوف والحذر والإشفاق وغيرها...»[3]، فالتأثير في الخطاب القرآني يخاطب مشاعر وعواطف الإنسان.

أما الإقناع «فيخاطب في الإنسان عقله المفكر الذي يختبر الفكرة ويتفحصها حتى إذا اقتنع بها استقرت يقينا»[4]، فالإقناع في الخطاب القرآني يكمن في مخاطبة العقول وهذا الأخير هو الذي يحلل ويدقق في الفكرة التي يطرحها القرآن الكريم. فالتأثير والإقناع هما الغاية الأولية في الخطاب القرآني.

---

[1]. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط1، دار الفارابي، بيروت _لبنان، 2001، ص40_41.

[2]. لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، ص103.

[3]. المصدر نفسه، ص104.

[4]. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومن أهم خصائص الخطاب القرآني ما يلي[1]:

_ أنّه خطاب محكم البنية والأسلوب والدلالة، ولا يحتمل المغالطة والتلبيس، أو الطعن في العرض، وبناء القضية، وإقامة الحجة.

_أنّ معظم الحجاج فيه بالدليل واقعي ملزم بإيجاد المثيل أو الدليل أو النقيض، وأنه يجمع بين الحجاج والحجاج المنطقي.

_أنه متنوع: خطاب اللغوي، ومتفاعل مع السياق الخارجي الذي أنتج فيه.

_أنّه يستدعي الحدث القسم، فيعرضه في الحال حيا مجسدا بالحركة والصوت والصورة في مقامه الذي حدث فيه.

_أن المكان والزمان من عناصره التوثيقية التي تؤرخ الحدث المحكي.

_أنّه يسند القول والحدث إلى صاحبها دون إضمار أو إبهام.

_أنه يحمل على وجوه لغوية وسياقية ومقاصدية.

_أنّه يعتمد على مسلمات عقلية مقبولة وأدلة واقعية ثابتة.

_أنه يوظف المؤثرات الصوتية والمجازية والنفسية.

5 . الحجاج والمصطلحات المرتبطة به: هناك مجموعة من المصطلحات تتشابك في مفهومها مع مصطلح الحجاج، من بينها:

5 . 1 . الحجاج والبرهان: في غالب الأحيان يحدث الغلط بين مفهومي الحجاج والبرهان وفي الحقيقة هناك اختلاف واضح بينهما، فالبرهان له علاقة بالاستدلالات المنطقية، بينما الحجاج ينتمي إلى أي خطاب كان، ونذكر بعض نقاط الاختلاف بين مفهومي البرهان والحجاج ، إذ يذهب أحد الباحثين إلى بيان الفرق بين الاستدلال البرهاني

[1]. عكاشة محمود، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة " دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة_ مصر، 2014، ص 402_403.

والاستدلال الحجاجي قائلا: «في الاستدلال البرهاني يكفي إيراد دليل واحد لتكون النتيجة مثبتة أو منفية...، بخلاف ذلك يتميز الاستدلال الحجاجي بأن عدد الحجج التي تتألف منها لا يكون محددا، فقد نكتفي بحجّة واحدة وقد تتعدد الحجج ...، والحجاج لا تلزم عنها النتيجة بصورة ضرورية كما هو الحال في البرهان»[1]، فالاستدلال البرهان يشترط إعطاء دليل واحد للوصول إلى نتيجة لإثبات الصدق ونفي الكذب، فمجاله هو الحقيقة. بينما الاستدلال الحجاجي لا يكتفي بحجة واحدة بل يحتاج إلى عدد من الحجج لإثبات صحة الكلام أو نفيه، كما أنّ الحجاج لا يخرج بالضرورة بنتيجة، كما أنّ الحجاج يهدف إلى الإقناع بكل الوسائل سواء بالمنطق أو باستعمال الكذب والخداع في الكلام من أجل التأثير في المخاطَب وجعله إلى طرفه، وهذا ما يقصده روبير بلانشي بقوله «تهدف المحاجة إلى التأثير على الرأي، وفي الغالب إلى إحداث قرار أو إلى تبريره»[2]، فالحجاج يسعى دائما إلى الإتيان بأدلة تبرر موقف أو رأي ما في القضية ويدافع عنها بأي شكل من الأشكال. إذن مجال الحجاج هو الرأي وجعل المحتمل ممكنا وصحيحا، فالحجاج أساسه الرأي، تتعدد مجالاته، منها: الفلسفة، الخطابة، الثقافة، الحياة الاجتماعية...إلخ

5 . 2 . الحجاج والجدل: كلمة الجدل ليست وليدة هذا العصر، بل يرجع تاريخها إلى العصر اليوناني، ونالت شهرة في عصر أرسطو، ففي عصره نالت شهرة وتداولا بين الناس، وبعده أيضا ونجد في التراث العربي الكثير من العلماء قد تطرقوا لهذه المسألة، حيث إنّ معنى الحجاج عن العرب القدماء قريب من معنى الجدل لأنهما قائمان على النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين فـ«المجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام، والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك»[3].

---

[1]. مجموعة من المؤلفين، الحجاج مفهومه ومجالاته "دراسة نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة"، ط1، دار الروافد الثقافية، بيروت لبنان، 2013، ص 362.

[2]. روبير بلانشي، الاستدلال، تر: محمود اليعقوبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة _مصر، 2002، ص300.

[3]. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية،2001، ص11.

وهناك من يرى بأنّ الحجاج والجدل مترادفان، إذ «إنّ اعتبار القدماء وبعض المحدثين الحجاج مرادفا للجدل ومراوحتهم بينهما في الاستعمال واستخدام أحدهما معطوفا على الآخر باعتبارهما مترادفين، من شأنه أن يضيق مجال الحجاج ويغرقه في الجدل من حيث هو صناعة منطقية سبق تعريفها، ومن حيث هو على العموم، في علم أصول الفقه وعلم الكلام وغير ذلك معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يُتوصل بها إلى حفظ رأي كان ذلك الرأي في الفقه أو غيره»[1]، أي هناك من يعتبرهما مصطلحين مترادفين يشتركان في الخصوم القائم على الباطل، كذلك يشتركان في إيراد اليقين القائم على الحق وهذا ما نجده في معجم (لسان العرب) في تعريفه للحجاج والذي يدل على الخصام بين طرفين وكل واحد منهم يجادل الأخر بإتيان بحجج وبراهين تقنع أو تدحض.

5 .3 . الحجاج والإقناع: إنّ الهدف من الخطاب الحجاجي هو الإقناع والتأثير في المخاطَب أي إقناعه وجعله إلى طرفه، حيث يعرف أبو الحازم القرطاجني مصطلح الإقناع بأنّه هو «حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاد أو التخلّي عن فعله واعتقاده»[2]، بمعنى دفع المتلقي إلى اتخاذ سلوك أو تغييره وتوجيهه إلى سلوك أخر. والإقناع «يتحقق عبر توسل أدوات وأساليب بلاغية (أي لغوية تركيبية بيانية...)»[3]، وهذا ما يزيد من قوة الخطاب وبالتالي يحدث التأثير.

والإقناع هو محاولة واعية للتأثير في سلوك المتلقي، وهو الغاية من الحجة، فالحجاج مرتبط بالإقناع، إذ يعد الوجه الأخر للحجاج، ولهما طريق واحد وهو التأثير في عقل الإنسان، حيث إنّ الهدف من استعمال الحجاج في الخطاب هو إقناع المتلقي بقبول الرسالة والخضوع لرأي المتكلم، بشرط أن يكون الإقناع بدون إكراه، أي وفق الأدلة والبراهين

---

[1]. روبير بلانشي، الاستدلال، ص15.

[2]. أبو الحسن حازم القرطاجني، منهج البلغاء وسراج الأدباء، ت: محمد حبيب بن الخوجة، د ط، دار الشرقية، تونس، 1966، ص106.

[3]. صابر الحباشة، التداولية والحجاج مدخل ونصوص، ص45.

المنطقية. يقول أحد الباحثين: «إنّ قضية الإقناع لا تتحدد في ذاتها وإنّما هي رهان يؤسس قاعدة الحجاج»[1]، إذ تكمن فعالية الحجاج في إقناع المتلقي بما يطرحه المتكلم من حجج، حيث يسعى المتكلم دائما إلى إيصال الرسالة إلى ذهن المتلقي عن طريق إفهامه، وجعله يخضع لرأيه هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعد الحجاج أحدى وسائل الإقناع وتقنياته. فهنا يتبن أنّ الحجاج يبدأ من الإفهام ثم الإقناع أي العمل بما قاله المتكلم أو إحداث تغيير في السلوك.

وهناك نوعان من الحجاج وهما «الحجاج الإقناعي وهو حجاج يرمي إلى إقناع الجمهور الخاصّ، والحجاج الاقتناعي وهو حجاج يرمي إلى أن يسلم به ذي عقل»[2]، فالحجاج الإقناعي هو حجاج يهدف إلى إذعان فئة معينة من الناس يهدف إلى الإقناع بكل الوسائل من أجل التأثير في العواطف والمشاعر، بينما الحجاج الإقتناعي يهدف مخاطبة العقل لا العواطف.

وهناك من الباحثين من يفصل بين الحجاج والإقناع باعتبار أنّ «الإقناع هو ما به يحاول الإنسان نفسه في حين إنّ الحجاج هو ما به يحاول إقناع الآخر، وذلك بوسائط متنافرة، منها ما يعود للغة وما توفره من بنى وأساليب ومفردات وتركيب، وروابط مؤثرة حجاجيا»[3]، وهناك من يفصل بين الحجاج والإقناع بالنظر إلى «الحجج المعتمدة لأن الحجاج عملية اتصالية، تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم»[4]، يظهر الاختلاف بين الحجاج والإقناع من خلال الحجج التي اعتمدها المتكلم وبالنظر إلى طبيعة المتلقي، فمثلا، إذا أنتج المخاطِب كلاما جديدا والمخاطَب لم يكن بعلم

---

[1]. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 22.

[2]. عبد الله صولة، نظريّة الحجاج دراسات وتطبيقات، ط1، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، 2011، ص15.

[3]. عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، العدد التاسع، مخبر أبحاث في اللغة الأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2013، ص274.

[4]. عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، ص274_275.

به، فإنّ الخطاب يصبح حجاجا يحدث في المتلقي التأثير والإقناع، فيكون المتلقي مقتنعا. أمّا إذا كان المتلقي رافضا لهذا الكلام، فإن الخطاب الذي أنتجه المتكلم يتحول إلى حجاج، فيأخذ هنا المتلقي دور المحاجج وتقديم حجج تدحض خطابه ويعيق المتكلم من تحقيق هدفه. ومن هنا نستنتج أنّ أي خطاب حجاجي هو خطاب إقناعي بالضرورة، وليس كل خطاب حجاجي هو خطاب إقناعي.

5 . 4 . الحجاج والمغالطة: إن مصطلح المغالطة يرجع زمان استخدامه إلى العصر اليوناني، بالتحديد عند السفسطائيين، لكن لم يرد عندهم بهذا المصطلح، فهم يتخذون أساليب مبنية على الألاعيب والسخرية إلى أن جاء جدل أرسطو ودحضهم، لأنّ السفسطات تجعل الإنسان مذلولا، ولهذا لم يكن له رواجا وتوسعا، بينما في هذا العصر لقي موضوع المغالطة مكانة في ساحة البحث، وسعى الباحثون لجعله علما قائما بحد ذاته. فالمغالطة هو استخدام استدلال خاطئ في طرح الحجة مما يؤدي بها إلى تضليل النّاس، فهي تأخذ مظهر الخداع.

وقد سمى روبير بلانشي المغالطات بالسفسطات لقوله :«السفسطات التي هي حجج قصد بها التضليل»[1]، وبقيت تحمل دلالة من منظور إغريقي، باعتبارها استدلالات في مقدمات مبنية على الكذب والخداع، وتهدف إلى نتيجة غرضها تضليل المخاطَب، فهو سلوك غير أخلاقي، يضلل الفكر ويزرع في المتلقي أفكارا غير حقيقية، وفي التراث العربي تعدّ المغالطة قياسا «ويسمى القياس الذي يهدف إلى تضليل الخصم بـ"المغالطة" أو "السفسطة"، ويجب دراسة فن المغالطة»[2]، أي تمّ اعتبار المغالطة فنا ينبغي دراسته لما يحمله من أساليب غامضة مبنية على براهين باطلة.

[1]. روبير بلانشيى، الاستدلال، ص334.

[2]. الشهيد مرتضي المطهري، المنطق، ط3، دار الولاء، بيروت لبنان، ص134.

وتنقسم المغالطة بشكل عام إلى قسمين: لفظية ومعنوية، «أمّا اللفظية فهي التي يكون اللفظ فيها سببا في وقوع المغالطة، وذلك كما لو جُعل اللفظ المشترك "حدّا أوسط" في القياس، وأُريد في الصغرى معناه الأول، وفي الكبرى الثاني، فيتكرر اللفظ فقط دون المعنى، فتكون النتيجة خاطئة قهرا»[1]، فالقسم الأول يمثّل بالمغالطة التي ترد باللفظ، أي الإتيان بمقدمتين، نجد لفظا واحدا مكررا في المقدمة الكبرى ومكررا في المقدمة الصغرى ومن ثم يتضح للمخاطَب بحذف التكرار كنتيجة، لكن تلك المقدمتين تسميان بالاستدلال الباطل غير المنطقي، وقد قدم الشهيد مرتضي المطهري في كتابه (المنطق) مثال يوضح كلامه:

الجاسوس عين (مقدمة كبرى)

والعين ينبوع (مقدمة صغرى)

إذا الجاسوس ينبوع (نتيجة)

بينما المغالطة بالمعنى على عكس بالأولى:«أما المغالطة المعنوية فلا ربط لها بالألفاظ، بل هي مرتبطة بالمعاني، ومثالها ما تقدم عن ديكارت في نفي أهمية القياس، إذ قال: "إذا كانت المقدمات في القياس معلومة فالنتيجة معلومة قهرا من دون حاجة إلى قياس، وإذا كانت مجهولة لا يمكن للقياس أن يجعلها معلومة، فلا جدوى للقياس على كل حال»[2]، فالمغالطة المعنوية لا ترد من توظيف اللفظ الذي يعد خيط للوصل إلى نتيجة، بل نجد المغالطة المعنوية مرتبطة بالمعاني التي تحملها الكلمات في جوهرها غير واردة في الكلام الشفوي وغير واردة في السطور في الكلام المكتوب.

6 . التعريف بمدوّنة البحث:

[1]. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2]. المرجع نفسه، ص 134_135.

6 . 1 . المدوّنة وعينة البحث: تتمثل مدونة البحث في القرآن الكريم، كون أسلوب خطابه معجزا ولم يقتصر في إقامة الحجج والبراهين على طريقة واحدة، بل تنوعت طرق عرضها في مخاطبة الشعوب، مع مراعاة أوضاعهم الزمنية والمكانية، ويراد بها الإبانة والإبلاغ والإقناع، وتقتصر العينة المعتمدة على سورة آل عمران، التي سيتمّ دراسة بعض تطبيق الآليات الحجاجية؛ اللغوية والبلاغية الواردة فيها، وربطها بوظيفتها الحجاجية.

6 . 2 . منهجية الدراسة: اعتمدت في عرض بعض الحجاج آليات اللغوية والبلاغة في الفصل التطبيقي على إعطائها تعريفا نظريا موجزا، وتبيان دورها، وطبقتها على مجموعة من النماذج التي قمت باختيارها من مدونة آل عمران، وبذلك أبين البعد الحجاجي للآلية مع ربطها بالمقصد القرآني.

6 . 3 . التعريف بسورة آل عمران: تسمى سورة آل عمران بهذا الاسم نسبة لورود قصة عمران وعائلته، وورود أحداث ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام من دون أب، فآل عمران مركب من لفظين هما (آل) التي تعنى أهل و(عمران) وهو نبي الله عليه السلام، معروف أنّه والد مريم عليها السلام، نجد في تفسير المنير أنّها: «سورة ثالثة، وهي سورة مدنية وآياتها مائتان، نزلت بعد الأنفال»[1]، فسورة آل عمران هي سورة مكية بمعنى نزلت في الدعوة الإسلامية قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ونزلت بعد سورة الأنفال، وعدد آياتها 200 آية كريمة.

وسميت سورة آل عمران لكونها «ذكرت فيها فضائل آل عمران وهو عمران بن ماتان أبو مريم وأله هم زوجه حنة وأختها زوجة زكريا النبيّ، وزكريا كافِل مريم إذ كان أبوها عمران

[1]. وهبة بن مصطفى الزجيلي، تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، ج3، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1997، ص140.

توفي وتركها حملا فكفلها زوج خالتها»[1]، سميت بهذا الاسم نسبة لنبي آل عمران والد مريم عليهما السلام أم سيدنا عيسى عليه السلام.

لسورة آل عمران فضل في قراتها، عن أبي أمامة: قال سمعت رسول الله يقول: «اقرأوا الزّهْراوين: البقرة وآل عمران»[2]، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقراءة سورتي البقرة وآل عمران، باعتبارهما متكاملتان.

وعن النواس بن سمعان: قال سمعت النبي يقول: «يُؤتى بالقرآن يوم القيامة تقدمه سورة البقرة وآل عمران»[3]، يوحي هذا الحديث إلى فضل سورتي البقرة وآل عمران لكونهما من أوائل السور.

وتسمى أيضا سورة آل عمران بـ «الأمان، والكنز والمعنية، والمجادلة، وسور الاستغفار»[4]، تعددت فيها تسميات نظرا لما تحتويه من مضامين.

وقد تضمنت هذه السورة الكلام على جانبي العقيدة والتشريع، «فالعقيدة أثبتت الآيات وحدانية الله، والنبوة، وصدق القرآن، وإبطال شبهات أهل الكتاب حول القرآن والنبي محمد صلى الله عليه وسلم»[5]، جاءت الآيات الكريمة لإثبات وحدانية الله عز وجل، وإثبات صدق القرآن وإثبات النبوة، وتصحيح عقيدة أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين كفروا، والرد على الشبهات التي يختلقونها من خلال محاجتجهم ومجادلتهم ببراهينهم الباطلة، نجد هذه السورة تتناول كفر النصارى الذين يجادلون الله في شأن المسيح ويدّعون له الألوهية، وتكذيبهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذكر الله التحذيرات الخاصة بهم، وبهذا نجد أنّ الخطاب القرآني

---

[1]. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، د ط، ج3، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، 143.

[2]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ص143.

[4]. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1994، ص71.

[5]. محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ج3، ص141.

يتناول أساليب ترهيب وتوبيخ وراءها مغزى حجاجيا ضمنيا غير مباشر ممّا جعل القرآن صعب التفسير والتحليل.

أما التشريع: «فقد أبانت الآيات بعض أحكام الشرع مثل فرضية الحج والجهاد وتحريم الربا وجزاء مانع الزكاة وبعض الدروس والعبر والعظات من غزواتي بدر وأحد، والتنديد بمواقف أهل النفاق»[1]، ففي هذا الركن يتعلق بذكر الأمور التالية: فرض الحج والجهاد في سبيل الله، وذكر الغزوات منها بدر وأحد وتعليم المؤمنين الصبر والتقوى وذكر بعض العبر لأخذها بعين الاعتبار.

وتعد سورة آل عمران تكملة لسورة البقرة وهذا ما ذكر في تفسير الألوسي «أنّ سورة البقرة بمنزلة إقامة الحجة وهذه بمنزلة إزالة الشبهة ولهذا تكرر فيها ما يتعلق بالمقصود الذي هو بيان حقيقة الكتاب من إنزال الكتاب وتصديقه للكتب قبله والهدى إلى صراط المستقيم، وتكررت آية ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل﴾ البقرة 136 باكملها ولذلك ذكر في هذه ما هو تال لما ذكر في تلك أو لازم له»[2]، حيث نُزلت سورة آل عمران لكونها تكملة لسورة البقرة، ولإزالة الشبهات المذكورة في الأخيرة.

اختلف أهل التفسير في ترتيبها كونها الثالثة «وهذه السورة نزلت بالمدينة بالاتفاق، بعد سورة البقرة، فقيل: أنّها ثانية لسورة البقرة على أنّ البقرة أول سورة نزلت بالمدينة، قيل: نزلت بالمدينة سورة المطففين أولا، ثم البقرة، ثم نزلت سورة آل عمران، ثم نزلت الأنفال في وقعة بدر، ويقتضي: أنّ سورة آل عمران نزلت قبل وقعة بدر»[3].

6 . 4 . **أهدف الدراسة:** ترتبط أهداف الدراسة التطبيقية بما يلي:

1_ السعي من أجل تطبيق الآليات اللغوية والبلاغية الحجاجية في الخطاب القرآني.

---

[1]. وهبة بن مصطفى الزجيلي، تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج3، ص141

[2]. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، ص71.

[3]. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص143.

2_ كشف عن أهم تقنيات الإقناع المستخدمة في الخطاب القرآني.

3_ توضيح دور الآليات الحجاجية في النص القرآني.

4_ بيان مدى قوة الأسلوب القرآني في سرد حججه.

المبحث الثاني

الحجاج في الدراسات الغربية والعربية القديمة

1 . الحجاج في الدراسات الغربية القديمة:

1 . 1 . الحجاج عند السفسطائيين

1 . 2 . الحجاج عند أفلاطون

1 . 3 . الحجاج عند أرسطو

2 . الحجاج في الدراسات العربية القديمة

2 . 1 . الحجاج عند الجاحظ

2 . 2 . الحجاج عند ابن وهب

2 . 3 . الحجاج عند السكاكي

المبحث الثاني:
الحجاج في الدراسات الغربية والعربية القديمة

1 . الحجاج في الدراسات الغربية القديمة:

يُعد الحجاج من أهم القضايا التي شغلت اهتمام علماء الغرب القدامى بصفة عامة، واليونانيين بصفة خاصة، حيث أدرج هؤلاء الحجاج ضمن فنون الخطابة والبلاغة والجدل، ونذكر كل من السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو:

1 . 1 . الحجاج عند السفسطائيين: تعنى كلمة السفسطائية الحكيم الخبير، والسفسطائيون (Sophiste) هم طائفة، شكلوا حركة فلسفية واجتماعية ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، حاولت الاستفادة من الفلسفة العقلية التي أسسها أنكساجوراس الذي قدم مذهبا جديدا قائما على العقل والذي يُعد أول مذهب عقلي بعد اشتغال فلاسفة الأولين في اليونان في قضايا كونية، استغل رواد حركة السفسطائية هذا المذهب من منظورهم الخاص، ويتميّز هؤلاء بكفاءة بلاغية ولغوية عالية ولهم خبرة في الجدل، وكان هدفهم السيطرة على العقول والإقناع وتضليل الشعب عن طريق خطاباتهم، وهم أول من استخدم فن الخطابة التي تعني بتفنن في إلقاء رسالة ما من طرف الحاكم موجهة نحو الجمهور قصد إدهاشهم بكلامه وإحداث التأثير في نفوسهم وفي الأخير إقناعهم بفكرته، وهذا ما أشار إليه وولتر ستيس (W. T. Stace) في عمله (تاريخ الفلسفة اليونانية)، حيث قال في سياق حديثه عن السفسطائيين: «لقد كانوا أول من وجهوا الانتباه إلى علم الخطابة الذي يعدون هم مؤسسيه»[1]، إذ يؤكّد وولتر أنّ السفسطائيين اعتنوا بعلم الخطابة نظرا لأهميته، فالحاكم أو

[1]. وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط1، دار الثقافة لنشر والتوزيع، القاهرة_ مصر، 1984، ص100.

الخطيب السفسطائي أثناء إلقاءه لخطاب ما يستخدم الحيّل في عرض الحجج بهدف إغراء وجذب المتلقي.

يمجّد السفسطائيون أصحاب القول، فهم يربطون القول بالإنسان، لأنّ الخطابة باعتبارها حاملة لقوة القول لا تبنى ولا تعمل على البحث في مختلف جوانب الوجود، وإنّما تهتم أكثر بذلك التفاعل الذي يحدث بين المتكلم والمستمع، فـ «لا يكون الهدف المقصود من الحجاج فحص الأفكار والمواقف والبحث عن أقربها إلى الصواب بل التفاعل بين الإنسان والإنسان وبلوغ المقاصد المرسومة مسبقا لحركة الحجاج»[1]، فالخطابة السفسطائية لا تهدف حججها إلى مناقشة المواقف والبحث عن الصواب والحقيقة، بل تهدف من استخدام الحجج في خطاباتها إلى خلق التأثير وإقناع المتلقين، ولهذا السبب اكتسبت الخطابة مكانة في الحياة اليونانية حيث يلعب الإقناع فيها«دورا مهما سواء في المجالس الاستشارية أو المحاكم أو المحافل»[2]، فالإقناع هي الغاية الأساسية لدى السفسطائيين ويسعون لحصولها بكل الوسائل، ويطبقونها في المجالس السياسية وفي المحافل المختلفة.

لقد عرف السفسطائيون الجدل واتخذوه منهجا لإقناع الآخرين أوالتأثير فيهم، ولكنهم يقدمون استدلالات مبنية على الكذب وبالتالي تضليل وخداع الجمهور، حيث يلجأ الخطيب السفسطائي إلى اختيار أساليب مزخرفة بالسجع والمجاز والتلاعب بتراكيب الجمل، فَهُم بارعين في فن البلاغة، حيث «يركزون طاقاتهم إلى حد كبير على تعلّم البلاغة والخطابة وهذا شيء طيب في حدا ذاته»[3]، فالسفسطائيون يركزون على تعلّم البلاغة نظرا لما تحمله من فصاحة وسلطة في القول، واعتبروها وسيلة أساسية من أجل كسب حججهم صورة

[1] . حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الأداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة تونس، 1998، ص59.

[2]. محمد العمري، في بلاغة الإقناعي "مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية"، ط2، إفريقيا الشرق، المغرب، 2002، ص15.

[3] . وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص100.

مجازية قوية في الخطاب، بغية مخاطبة النفوس والعواطف وإقناعها، ولكي يتحقق الإقناع يجب أن يكون المرء فصيحا، وأول من تخصص في هذا العلم هو كوراس (Corax) الذي قدم «مجموعة من الآليات التي تساعد الحجاج بطريقة فعّالة أمام المحاكم، ومما يفيد أنّ البلاغة ولدت في سياق قضائي، ومن رحم التفكير في الطرق التي تسمح بوضع طريقة فعّالة للكلام»[1]، فقد درس السفسطائيون لبلاغة نظرا لأهميتها التي تتمثل في الفعّالية القضائية ثم وظفت أيضا في السياسة، وهذا يساعد كذلك على تعلم الأدب، إلاّ أنّ الهدف الأساسي من تعلم البلاغة والخطابة والجدل هو خداع النّاس والسخرية بمشاعرهم وتضليلهم.

وقد شبه وولتر ستيس السفسطائيين بالمحامين البارعين، حيث يقول: «إنّ السفسطائيين مثل المحامين لا يعبأون بحقيقة المسألة، وهم قادرون على تقديم رصيد من الحجج حول أي موضوع أو البرهنة على أية قضية، وهم يشحذون قدرتهم لكي يجعلوا الأسوأ يبدو هو الأفضل، والبرهنة على أن الأسود هو الأبيض»[2]، فهم يشبهون المحامين في أداء وظيفة الدفاع عن الأفكار غير الحقيقية ويجعلون من الكذب الأسود حقيقة بدلا من أن يكونوا صادقين، ويأتون ببراهين كاذبة على أساس الصدق، وفي خطاباتهم يخاطبون مشاعر وعواطف المستمعين أكثر ممّا يتطرقون إلى موضوع الخطاب، فحججهم لا تحررّ فكر الإنسان ولا تهدف إلى الخير للأمة، «لقد عمد السفسطائيون في ممارساتهم للحجاج إلى بناء حججهم على فكرة ((النفعية)) المتعلقة ((باللذة)) أي الهوى، وليس النفع المتعلق بالمثل أو الخير»[3]، فالممارسات الحجاجية عند السفسطائيين تقوم على المنفعة، كما تقوم على الشّك وتزييف الحقائق.

---

[1] . فليب برتون و جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ط1، مركز النشر العلمي، جدة السعودية، 2011، ص21.

[2] . وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص100_ 101.

[3] . محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص27.

لقد انتقدت الفلسفة السفسطائية، فيما بعد، باعتبار أنّ العقل أساس التفكير بقضايا الواقع الذي نعيشه، فإذا أراد شخص أن يقدم لنا حجة تقنعنا فلا يجب عليه أنْ يستغل عواطفنا أو يستخدم القوة، بل عليه أن يعتمد على مناقشة الآراء يقنع من خلالها عقولنا، ويستدل بالبراهين القائمة على الواقع، وهذا يتناقض مع تفكير السفسطائيين.

لكن بالرغم من الانتقادات التي وُجّهت للسفسطائيين، إلاّ أنّ الباحثين يقرّون بجهود هؤلاء في تأسيس فن الخطابة والاشتغال في الأسلوب، حيث «ساهم السفسطائيون كثيرا في تقدّم المعرفة. لقد كانوا أول من وجهوا الانتباه إلى دراسة الكلمات والجمل والأسلوب والنثر والفني والإيقاع، ولقد كانوا مؤسسي علم الخطابة ونشروا التعليم والثقافة في جميع أنحاء اليونان»[1]، وهذا ما لفت انتباه المعاصرين إلى موضوع المغالطة في الكلام الذي يعد موضوع كل البشرية ويُستخدم لمنافع شخصية، وأصبح ذي أهمية في الدراسات اللسانية المعاصرة، أضف إلى ذلك الجهود التي قدمها السفسطائيون بخصوص الحجاج وذلك عن طريق الخطابة والجدل والبلاغة، حيث تناولوا الحجاج عن طريق توظيف الأساليب البلاغية في خطاباتهم التي تعتمد في حجاجها على مخاطبة العواطف، بعيدا عن استخدام العقل القائم على المنطق، فهو حجاج إقناعي نفعي يهدف إلى المغالطة والتضليل وسلطة القول في حق الشعب.

1 . 2 . الحجاج عند أفلاطون (427_ 347 ق م): بدأ مشروع أفلاطون في الحجاج من خلال اشتغاله بالخطابة وبالتحديد في معارضته لحجاج السفسطائيين، فقد وجه لهم الانتقاد، وفي الوقت نفسه يقدّم حججا لتثبيت ذلك، وقد كان أفلاطون يمجد العقل والحقيقة، لذلك انتقد المعرفة السفسطائية التي تمجد الظّن والمحتمل، ويرى أنّ الإقناع الذي يعتمد على الظّن غير مفيد لأنّه لا يكسب الإنسان المعرفة بل ينشئ لديه اعتقادا غير صادق.

[1]. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص27.

يرى أفلاطون أنّ الممارسات الحجاجية في الخطابة السفسطائية وكذا ممارسات السفسطائيين القولية في القضايا دون التطرق إلى المعرفة لا تهتم بقيمة الفرد ونفع المجتمع، حيث يقول عن هذه الممارسات بأنّها «تتجه نحو اللذة وتغيير الخير مما يجعلها عارية من القيم المعرفية والأخلاقية»[1]، بمعنى أنّ الحجاج السفسطائي يمارس الإغواء ويثير عاطفة السّامع لجعله معجبا بالخطبة التي تلقى عليه ويقتنع بمضمونها، في حين إنّ منهج أفلاطون في الحجاج يركز على الأخلاق في كل شيء، ويرى أنّ الخطابة تحمل نتائج ظنّية مبحثها اللذة والهوى وهي أمور غير يقينية وغير أخلاقية، لا تنفع الشعب «إذ اعتبرها أداة تزينية تمويهية تحقق اللذة لكن لا تحقق الفضيلة، ولم يقف عند هذا الحد بل زاد بأن جعلها صناعة من صناعات التملق»[2]، يعتمد أفلاطون على معيارين هما: العلم والخير، أساسا لكل حجاج، فهما ينفعان الفرد والمجتمع.

يقول أحد الباحثين عن مشروع أفلاطون أنه «يقطع تماما مع الخطابة السفسطائية، ويمهّد بعض التمهيد لخطابة أرسطو: هو يقطع مع الخطابة السفسطائية إذ أراد بها أن يجعل الحجاج الذي يكون بين الإنسان والإنسان في شؤون الاجتماع والسياسة صادرا عن الحقيقة لا عن ((المحتمل)) ((والظنّ)) وقاصدا إلى الفضيلة والخير لا إلى تحقيق المآرب بسلطة القول»[3]، فالخطابة عند أفلاطون هي التي تحمل حججا صادقة حقيقية، بعيدة عن سلطة القول والاحتمال والظن سواء في المحاكم أو مجالس شعب، بل يمتد أيضا إلى استخدام الخطابة في الاجتماعات الخاصة بين الناس، إذ تتبني صناعة الخطابة عنده على ثلاثة أركان تتمثل في: «اعتماد المنهج الجدلي، ومعرفة أنواع النفوس وما يناسبها من أقاويل، ومعرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب»[4]، فيعتبر الجدل عند أفلاطون

---

[1]. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، دار الأمان، الرباط_ المغرب، 2013، ص40.

[2]. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص27-28.

[3]. حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في تقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص78.

[4]. المرجع نفسه، ص30

الركن الأول في صناعة الخطابة أمّا الركن الثاني من صناعة الخطابة الذي يتمثل في أنواع النفوس وما يوافقها من أنواع الأقاويل «فيتعلق بمبدأ التناسب بين القول والسامع»[1]، ركز أفلاطون على السامع من خلال ذكر (أنواع النفوس) وهذا دليل على أنّه يراعي السامع في إنتاج الخطاب.

أمّا الركن الثالث والأخير في صناعة الخطابة «فيهتم بالأسلوب وانسجام مكوناته وتناسب وحداته»[2]، فهو يهتم بالأسلوب الخطاب في مدى اتساق وانسجام بنياته ببعضها البعض.

لقد درس أفلاطون الخطابة ليس من أجل إحداث التفاعل بين الإنسان وإنسان أخر بل من أجل بث الحقيقة والفضيلة، ويرفض أي تلاعب بعواطف الإنسان، كما يرفض «الضغط وفرض الإقناع لمجرد أنّ العامة تساند هذه الفكرة، وفي رأيه لا ينبغي الاحتكام إلى العامة حينما يتعلق الأمر بالمعرفة»[3]، كما رفض الضغط ودفع المتلقي إلى الإقناع دون رغبته، بل أوجب أفلاطون احترام السامع. لقد درس أفلاطون الحجاج معتمدا على المنهج الأخلاقي الذي يهدف إلى الخير، وحارب منهجه الظّن والتزييف.

1 . 3 . الحجاج عند أرسطو (384_322 ق م): لقد ركّز أرسطو في دراسته للحجاج على الخطابة والجدل والبلاغة، ورفض الحجج التي قدّمتها السياسة السفسطائية القائمة في تلك الفترة على الأغاليط في حق الشعب، وقد نهج منهج أستاذه أفلاطون في اهتمامه بالجدل، كما اهتم بموضوع الحجاج نظرا لأحوال مجتمع اليوناني الخاضع لسلطة القول، وجعلهم ضالين وكأنّهم أداة يتحكمون في استعمالها كما يشاءون، فقد عرّف أرسطو السفسطة بكونها«استدلالا صحيحا في الظاهر معتلا في الحقيقة، وجعل الغرض من وراء دراستها هو

---

[1]. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص30.

[2]. المرجع نفسه، صفحة نفسها.

[3]. زقرور نجمة، البنية الحجاجية في قصص الأنبياء دراسة في ضوء تحليل المحدثات، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة محمد دباغين، سطيف الجزائر، 2018/2017، ص37.

معرفة الحيل التي يلجأ إليها السفسطائيون»[1]، ويعنى أرسطو في هذا القول أنّ حجج السفسطائيين تحمل في جوهرها تضليل وكذب فهي نقيضة للحقيقة واليقين، ولهذا كان مشروعه في الحجاج في البداية هو معارضة الفكر السفسطائي ودعوة الجمهور إلى النهوض والتفطن بما يدور حوله، فقد عرّف الخطابة قائلا «إنّ الريطورية (ويعنى الخطابة) ترجع إلى الديالقطيقية (أي صناعة الجدل) وكلتاهما توجد من أجل شيء واحد الإقناع»[2]، فالخطابة حسبه تناسب الجدل لأن هناك شيء يربط بينهما ألا وهو الإقناع، كما أنهما تعدان قوتين لإنتاج الحجج، لكن هنا يظهر الاختلاف في نوع الحجاج، فحجج الخطابة ظنّية محتملة بينما حجج الجدل خاضعة للتفكير القائم على الواقع.

وقد اهتم أرسطو بعناصر بناء الخطاب، وعدها ثلاثة أطراف أساسية مكونة له كما أنّ هذه العناصر تساهم في فعاليته، ولهذا أصدر أرسطو ثلاثة كتب، فاهتم الكتاب الأول من الخطابة بالخطيب، فقد عالج فيه «مفهوم البراهين بحسب تعلقها بالخطيب، ومدى انسجامها مع الجمهور»[3]، وعالج فيها كيفية إنتاج البراهين من طرف الخطيب مع مراعاة مقامات السامعين، أما الكتاب الثاني فخصصه لمتلقي الرسالة، كتاب الجمهور «عالج فيه عددا من الانفعالات والأهواء، وكذا بعض البراهين غير أنّها هذه المرة بحسب تلقيها»[4]، درس الانفعالات والتفاعلات والتي تحدث للمتلقي أثناء استقباله للخطاب.

أمّا الكتاب الثالث فاهتم بالرسالة «إذا عالج فيه الأسلوب أو البيان أي الصور البلاغية، وتنظيم أجزاء القول»[5]، ركز على الأسلوب الذي يتشكل من الوسائل المتمثلة في الصور البيانية البلاغية وهذا دليل على أنّ أرسطو اهتم بقضية البلاغة.

---

[1]. رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار إلى العقل في الحوار، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، 2010، ص64.

[2]. أرسطو طاليس، الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت لبنان، 1979، ص3.

[3]. محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص22.

[4]. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]. محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص22.

وقد تطرق أرسطو للأركان التي يُبنى عليها الحجاج، والتي يلخصها أحد الباحثين[1] فيما يلي:

1 . 3 . 1 . المنهج الجدلي: لقد درس أرسطو الجدل في علاقته بالخطابة والتي يعتبرها «صناعة مدارها إنتاج قول تبنى به الإقناع في مجال محتمل والوسائل الخلافية القابلة للنقاش»[2]، حيث يعرّف أرسطو الخطابة بأنّها إنتاج الرسالة من طرف المخاطِب، تحمل حججا تهدف إلى إقناع المخاطَب عن طريق عرض الأفكار ومناقشتها وتقديم الاستدلال البرهاني للدفاع عنها، وهذا يعنى أن أرسطو ينادي بالمجادلة ويرفض الخطاب الحجاجي السفسطائي لأنّه لا يمنح فرصة للجمهور لمناقشة الآراء، ولهذا كان مهتما بالجدل باعتباره الطريقة المناسبة لتوجيه الانتقاد لأغلاطهم. والجدل عند أرسطو هو عرض مشكلة يتم فيه المناقشة من خلال عرض سؤال من طرف المتكلم والمتلقي الذي يقدم جوابا، ويرتبط الجدل بـ «القضايا الفكرية الخلافية، ومجاله أساسا المناظرة حيث المواجهة والسؤال واعتبار البدائل»[3]، أي أنّ المناقشة الجدلية في قضية فكرية معينة تكون عن طريق المساءلة بين طرفين ومشاركتهما في موضوع الخطاب ممّا يدل على وجود أخلاق في التعامل مع المتلقي، وهذا ما أكّده أرسطو في كتابه الخطابة من خلال إشارته إلى أنّ «الخطابة فرع من الجدل وأيضا فرع من علم الأخلاق يمكن أن يُدعي بحق علم السياسة»[4] فالخطابة، حسبه، فرع من علم الأخلاق، وهذا ما كان غائبا في الحجاج السفسطائي، إذ يوحي أرسطو إلى ضرورة حضور الأخلاق في أداء أي خطاب، و يراعي أهمية للمتلقي ولمقام الفرد، وقضية المقام كانت مهمة البلاغة والتي تعنى بفن الكلام مع مراعاة مقتضى الحال، وهذا يدل على

---

[1]. محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن لأفكار، ص53.

[2]. حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص12.

[3]. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص49.

[4]. أرسطو، الخطابة، ص30.

أن أرسطو يدعو إلى ربط الخطاب الجدلي الحجاجي بالبلاغة، ويفرق بين بلاغة الخطابة وبلاغة الشعر.

يعد أرسطو من أنصار الجدلية لأنها تمنح فرصة معارضة الحجج المقدمة عن طريق الحوار ممّا يدل على أنه قد اتّخذ اتجاها خاصا في دراسته للحجاج، إلا أنه احتفظ ببعض الفنون التي قدمها أستاذه أفلاطون كالبلاغة، وأنّه لم ينكر جهود السفسطائية في البلاغة بل انتقد طريقة عرض الحجج بطريقة مغالطية، والبديل الذي قدّمه هو تركيزه على الجدل، والبحث في الحجاج قبل أن يدخل في موضوعي البرهان والبلاغة، ولم يجعل البلاغة في البداية (والتي سماها فيما بعد بفن الكلام) عنصرا مهما في دراسته للحجاج، بل ربط هذا الأخير بالجدل ودرسه من منظور فلسفي، ودرس الحجاج كظاهرة اجتماعية إنسانية يتداولها الفرد يوميا في تواصله مع الآخرين. ويعتبر أرسطو أن الجدل هو «الوسيلة التي يريد بها أن ينقل الحجاج عموما من مجال الظن والاحتمال إلى مجال الحقيقة»[1]. لقد ازداد اهتمام أرسطو بالخطابة لمعالجة الحجج السفسطائية بما فيها من مغلطات لغوية والتي تتمثل في «الغموض والاشتباه والترتيب المبهم للكلمات والقسمة المبهمة للكلمات والشكل الخاطئ وصورة التعبير المستخدم، وهي بحسبه تحدث الوهم في القول واللفظ»[2].

1 . 3 . 2 . معرفة أنواع النفوس: يولي أرسطو أهمية كبيرة للقدرات الذهنية لدى السامع وما يستقبله من قول، ويذهب إلى أنّ «مدار هذا الركن هو مبدأ التناسب بين القول والسامع»[3]، إذ يرى أرسطو أنّه ينبغي على المتكلم أن يراعي القدرات العقلية لدى السامع أثناء عرض الحجج باعتبار أن كلّ شخص له طبائع تختلف عن طبائع غيره، فيمكن لسامع ما أن يستوعب الحجة ويظهر ذلك من خلال التفاعل والتأثر، وقد لا يستوعب قصد المتكلّم فيدخل في ما يسمى بتأويل القول إلى معان أخرى، وقد نبه أرسطو في بحوثه البلاغية إلى

[1]. محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص53.

[2]. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 57.

[3]. محمد سعد بن الدكان، المرجع نفسه، ص53.

قضية مهمة وهي الدلالة التي لها صلة بالحجاج فقال بأنّ «الذين ليس لهم خبرة بخصائص الدلالة في الأسماء ينشئون استدلالات فاسدة حين يناقشون وحين يسمعون غيرهم»[1]، ومن الضروري أن ينتقي المتكلم في تعابيره كلمات بسيطة وغير ملتبسة كي لا يقع المتلقي في الاشتراك اللفظي، وبالتالي يمكن أن يؤول إلى أبعد مما يكون في مقصد المتكلم، إذ يُكسب التقاطع بين الاستدلال والحجاج «أبعادا ضمنية تحفيزية والتأويل والقراءة بصفة عامة»[2]، فالاستدلال الحجاجي يحفز عقل المتلقي على البحث عن المعنى الذي يقصده المتكلم، ويمكّن من تأويل مقاصد المتكلم وقراءتها بطريقته الخاصة.

1 . 3 . 3 . مراعاة المقامات: إنّ شعار البلاغيين هو "لكل مقام مقال"، وقد اهتم أرسطو بالمقام، ورأى أنّه مهم من أجل الوصول إلى الإقناع، ويرى أنّ المقام هو «حزمة من مبادئ التواصل بين القائل والمتلقي، إذا أُحسن تمثيلها كان الحجاج أبعد غورا، وأعظم تأثيرًا»[3]. فمراعاة المقام يحدد نسبة نجاح استمرارية العملية التواصلية، بمعنى حدوث التفاعل والتأثير والتأثر بين طرفي العملية في طرح حججهم فيما بينهم.

نستنتج ممّا سبق أنّ أرسطو قد حاول أن يجعل كل من الخطابة والحجاج والبلاغة في مسار واحد كونها تنطلق من البراهين القائمة في الواقع ومراعاة المقام، كما تهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي والابتعاد عن التزييف في الخطابات.

2 . الحجاج في الدراسات العربية القديمة:

إن قضية الحجاج عند العرب لم تكن وليدة الدراسات العربية الحديثة، بل كانت من بين القضايا التي درسها علماء العرب القدامى من خلال ما أنجزوه في البلاغة والخطابة، فظهرت الممارسات الحجاجية في أساليبهم البلاغية، فالأسلوب عند العرب قائم على نوعين؛

[1]. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص36.

[2]. المرجع نفسه، ص37.

[3]. محمد سعد بن الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص 53.

الخبري والإنشائي، وهما يعدان كوسيلتين لتقوية الكلام تدعمان الحجج في التواصل، وبهذه الطريقة يحدث التفاعل لدى المتلقي ويتمّ إقناعه. فالأساليب تلعب دورا مهما في تحديد المعنى المقصود وتزيل الغموض في المتلقي، كما تساعد المتلقي في تفسير والبحث عن المعنى ومعنى المعنى، ومن بين العلماء القدامى نذكر كل من: الجاحظ والسكاكي وحازم القرطاجني ...الخ.

2 . 1 . الحجاج عند الجاحظ (163هـ_ 255هـ):

يعد الجاحظ أول من أشار إلى قضية الحجاج في العالم العربي من خلال دراسته لعلم البيان الذي جعله كدليل على صحة الحجة، يرى أنّ للبيان وظيفتين أساسيتين: الأولى هي الوظيفة الإفهامية، والثانية هي الوظيفة الإقناعية.

2 . 1 . 1 . الوظيفة الإفهامية: تتمثل الوظيفة الأولى من البيان في وظيفة الفهم والإفهام، حيث يعرف البيان بأنّه: «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يُفضى السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[1]، فالبيان عند الجاحظ هو الذي يساهم في إزالة الغموض والكشف عن المعنى الحقيقي من أجل بلوغ غاية إفهام السامع وإقناعه، وقد جعل الجاحظ البيان كدليل لتقوية الكلام والتأثير في المتلقي والذي يهدف إلى الإقناع بفكرة أو موقف، أو يغير في السلوك، إذ يشير الجاحظ إلى الحجاج في كلامه (يجرى القائل والسامع إنما الفهم والإفهام) وهو الجانب التكويني للحجاج، ويشترط الجاحظ في إنجاح عملية الإفهام الاستقامة في الكلام والإيجاز وحلاوة الألفاظ وخلوها من الأمراض فـ«كلما كان اللسان أبين أحمد كما أنّه كلما كان القلب

[1]. عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، د ط، ج1، مكتبة الهلال، بيروت لبنان، 2002، ص82.

أشدّ استبانه كان أحمد، والفهم لك والفهم عنك شريكان في الفضل»[1]، فالإفهام هو الوظيفة المركزية للبلاغة حسب الجاحظ، وهو يربطها بمقتضى الحال.

2 . 1 . 2 . الوظيفة الإقناعية: يقول محمد العمري:«إنّ تحليل إستراتيجية كتاب البيان والتبيين للجاحظ يكشف بكل وضوح أن هذا الكتاب محاولة لوضع نظرية لبلاغة الإقناع مركزها الخطاب اللغوي»[2]، يؤكد محمد العمري أنّ بلاغة الجاحظ تهدف إلى دراسة الخطاب لبيان الوظيفة الإقناعية فيه، وقد سماها البصر بالحجة في الحجاج ويعنى بها تمكّن المتكلّم من الإفهام بعد الفهم ومن الإقناع بعد المعرفة بالفكرة وتقبلها، يقول الجاحظ «البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة...، ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذ كان الإفصاح أو عر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك، وأحق بالظفر»[3]، يشير الجاحظ إلى أنّ البلاغة تهدف إلى التفاعل والإقناع، ولا يأتي ذلك إلا من خلال تبصر المتكلم بالحجج التي يبرهن بها، أي يعرف كيف ومتى يستخدمها، وأن يعرف أقدار المخاطبين ويراعي أحوالهم. ولهذا يرى الجاحظ أنّ البلاغة مرادفة للحجاج، وبالتالي يعرف البلاغة بأنّها: «اسم جامع لمعان كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطباً ومنها ما يكون رسائل...»[4]، بيّن الجاحظ أنّ البلاغة مرادفة للحجاج.

وقد تناول الجاحظ عنصرا في غاية الأهمية وهو عنصر المقام والحال، ويشترط على المتكلم أن يختار اللفظ الشريف البعيد عن الفساد، ويكون ذلك بانتقاء اللفظ الرشيق والعذب والسهل، فالجاحظ عد شعار لكل مقام مقال حيث يقول: «يجب على المتكلم أن يوازن بين

---

[1]. زقرور نجمة، البنية الحجاجية في قصص الأنبياء، ص45.

[2]. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص64.

[3]. الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص92.

[4]. المصدر نفسه، ج1، ص114.

المعاني وأقدار المستمعين وأقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما»[1]، أشار الجاحظ إلى ضرورة الاهتمام ببلاغة الخطاب الذي ينتجه الخطيب وعليه أن يناسب المقام (أحوال المستمعين) وبين الكلام، فالجاحظ عد مراعاة المقام شرطا لازما في كل تواصل بياني يهدف إلى الصواب والنفع، وقد استخدم مجموعة من المصطلحات تدل على هذا الشرط منها: الموضع، المقام، الأقدار، المطابقة، الحال ولهذا يقول أحد الباحثين أنّ المقام عند الجاحظ يكتسي «طابعا تداوليا يجعله يلف كل عملية القول، فالمتكلم محكوم باعتبار مخاطبه، وباعتبار التلاؤم بين الغرض وصورة قوله، واعتبار السياق الذي يرد فيه الخطاب»[2]، يجب على المتكلم أن يراعي أقدار المستمعين ومنزلتهم الاجتماعية، فالقول لا يقنع إذا لم يكن موجها بحسب الحاجات التي تقتضيها فئات المستمعين، ولهذا فلابد على المتكلم أن يناسب بين كلامه وبين طبقات وأحوال الناس، لأنّ الفهم يختلف من إنسان إلى أخر. وفي موضع أخر نجد الجاحظ يصر على المتكلم أن يكون فصيحا في لسانه وواضحا في مقاصده وبهذه الطريقة يكون المتكلم قد أبلغ كلامه وأفهمه بنجاح، ويؤدي إلى تحقيق التفاعل بين آراء المتكلمين حول القضايا التي يتناقشون حولها، لأنّ «أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتعقيب والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم»[3]، لا يكمن دور المتكلم في الألفاظ التي يستخدمها وإنّما في اختيار نوعية الحجج والبراهين من أجل استمالة العقول والتأثير على المتلقي، وبهذه الطريقة يحصل الإقناع.

ونستخلص مما سبق أن الغاية الأساسية من الفهم والإفهام عند الجاحظ هي الإقناع ولهذا درس عدة قضايا منها البيان والبصر بالحجة، كما اهتم بالخطيب والمخاطَب والخطاب واعتبرها العناصر الأساسية التي بها يتم تحقيق الإقناع والتواصل بنجاح.

---

[1] . الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص18.

[2]. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص65.

[3]. الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص14.

2 . 2 . الحجاج عند إسحاق ابن وهب (ت337): إسحاق بن وهب من بين العلماء الذين اهتموا بقضية الحجاج، فقد درس البلاغة من الناحية البرهانية، واعتبر ابن وهب الاحتجاج أحد فنون النثر لقوله: «أما المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة أو ترسلا، أو احتجاجا أو حديثا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع الاستعمال فيه»[1]، يساوي ابن وهب بين الاحتجاج والخطابة باعتبارهما جنسين نثريين، لكن لكل منهما موضعه الذي يستخدم فيه.

لقد اشتغل ابن وهب في دراسة البلاغة من خلال تركيزه على علمي البيان والمعاني، حيث يرى أنّ أسلوبي الإيجاز والإطالة لهما دور أساسي في بلاغة الكلام، فهما مرتبطان بالمقام، ويشترط أن يكون الخطيب عارفا بمواقع القول وأحوال المخاطبين «فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة، ولا إطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز في مقدار الحاجة إلى الإضجار والملالة، ولا يستعمل ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة، ولا كلام الملوك مع السوقة، بل يعطي كل قوم من القول بمقدارهم، ويزنهم بوزنهم، فقد قيل لكل مقام مقال»[2]، وقد اهتم ابن وهب بقضية المقام حيث يشترط على المتكلم أن يعرف أقدار وأحوال السامعين لكي يعرف كيف ومتى يستخدم الأساليب الموجزة والأساليب المطيلة، لأن الفهم ليس متساويا لدى جميع الناس، بل متفاوت بحسب درجات استيعابهم للكلام، فالأساليب الموجزة ينبغي استعمالها في المخاطبة الخاصة لغرض الفهم اليسير، بينما الإطالة في الكلام وجب استخدامها في مخاطبة العامة، وقد تأثر ابن وهب ببلاغة الجاحظ، خاصة في قضية المقام والمقال.

وقد تطرق ابن وهب إلى قضية الجدل والمجادلة حيث يعرفهما في كتاب (البرهان في وجوه البيان) بقوله: «أما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه

---

[1]. أبى الحسين اسحاق بن إبراهيم بن سليمان ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ت: حنفي محمد الشريف، مكتبة الشباب، القاهرة، د ط، مصر، 1969، ص150.

[2]. المصدر نفسه، ص153.

اعتقاد المجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات وفي الحقوق والخصومات وفي التسول والاعتذارات ويدخل في الشعر والنثر»[1]، يعني أنّ الاحتجاج وسيلة من وسائل الجدل، ويجعل الجدل أعم من الحجاج، هذا الأخير يستخدم في مواضع الاختلاف بين المذاهب والمعتقدات الدينية، وبين المعارف الإنسانية.

ويرى ابن وهب وجوب التحلي بالأخلاق أثناء المجادلة، فكل طرف يحترم الرأي المخالف، ويقدم حجته بطريقة أخلاقية، ويقول بأنّ «الجدل المحمود ما قصد به الحق واستعمل فيه الصدق، والجدل المذموم ما أريد به المداراة والغلبة وطلب الرياء والسمعة وإذا كان القصد هو الحق والصواب»[2]، فغاية الجدل صنفان؛ الأول هو الجدل المحمود الذي ينطلق بالصدق في الأفكار ويهدف إلى الحق والخير، أما الثاني فهو الجدل المذموم هو الذي ينطلق من الكذب والمغالطة في الأفكار. وهذا يدل على أنّ ابن وهب أخذ عن أرسطو في تقسيمه للجدل.

لقد أوجب ابن وهب على المجادل أن ينطلق مما هو ظاهر ويبتعد عما هو ضمني، فالحق في الجدل «أن تبنى مقدماته بما يوافق الخصم عليه، وإن لم يكن نهاية الظهور للعقل، وليس هذا سبيل البحث، لأنه حق الباحث أن يبين مقدماته بما هو أظهر الأشياء في نفسه، وأثبتها لعقله لأنه يطلب البرهان ويقصد لغاية التبيين والبيان»[3]، كما أوجب ابن وهب على المجادل أن ينطلق من حقائق ظاهرة وبينة يؤمن بها المتلقي، لأنّ تلك الحقائق بمثابة البراهين والحجج التي سيدعم بها رأيه، فغاية المجادل هو البيان والتبيين للحقائق أي الفهم والإفهام الذي يوصل المتلقي إلى الإقناع، فهذه الفكرة لا تختلف عن الفكر الحجاجي عند الجاحظ.

---

1. اسحاق ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص176.
2. قعموسي عبد القادر، الخطاب الحجاجي في الفكر النقدي المعاصر البلاغة والسرد لمحمد مشيال، ص67_68.
3. اسحاق ابن وهب، المصدر نفسه، ص179.

وقد تحدث ابن وهب عن شروط أدب الجدل وبالخصوص وجب على المجادل أن يكون قصده وغايته الحق والصواب، وألا يجدل وهو في مزاج سيء، أو قلة الصبر وسرعة الضجر، وهذا ما يجعل المتكلم يلجأ إلى اتخاذ كل الوسائل لدفع بالمتلقي إلى الاقتناع.

2 . 3 . الحجاج عند السكاكي (ت 626هـ): لقد اهتم السكاكي بقضية الحجاج في دراسته للبلاغة في كتابه (مفتاح العلوم) والذي يهدف به دراسة علم الأدب، فقد قسمه إلى ثلاثة أقسام، خصص القسم الأول لعلم الصرف، وخصص القسم الثاني لعلم النحو، أما القسم الثالث والأخير فقد خصصه لعلمي المعاني والبيان، ثم توسع في القسم الثالث إلى علمي المعاني والبيان وما يقتضيه أو يتطلبه من مباحث الاستدلال.

ويعرف السكاكي البلاغة بأنّها «بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهه»[1]، ركز في تعريفه للبلاغة على علم المعاني وعلم البيان، ويرى السكاكي في البيان أنّه يحمل وظيفة استدلالية وعلم المعاني بأنّه «هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة»[2]، أمّا علم البيان فهو«محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة»[3]، وقد اشترط السكاكي مراعاة المقامات لقوله: «اعلم أن المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل به من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال»[4]، فيرى السكاكي أن فائدة الكلام تكون مع مراعاة أحوال الناس.

ويعرف السكاكي البلاغة بأنّها «ملكة تمكن المتكلم من تأدية المعاني، وطرق أساليب متعددة وأوجاعها تخدمها في بلوغ مقاصده، ثم يحول اتجاهه إلى طرفي البلاغة بين الإبانة

---

[1] . يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، 1987، ص37.

[2] . المصدر نفسه، ص161.

[3] . المصدر نفسه، ص329

[4] . المرجع نفسه، ص161.

والإفهام»[1]، فالبلاغة حسب السكاكي موهبة تجعل المخاطِب يختار الأساليب التي تؤدي فكرة التي تحتوي على معان ضمنية تحفز المتلقي على البحث على فهمها والكشف عن معناها الجوهري، وبالتالي يتم استيعابها، وقد نحا السكاكي منهج الجاحظ في الحجاج أي في تركيزه على الفهم وإفهام المتلقي.

[1] . بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل لنشر والتوزيع، قسنطينة الجزائر، 2018، ص78.

المبحث الثالث

الحجاج في الدراسات الغربية والعربية الحديثة

1 . الحجاج في الدراسات الغربية الحديثة

1 . 1 . الحجاج عند بيرلمان وتيتكا

1 . 2 . الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر

1 . 3 . نظرية المساءلة عند ميشال مايير

2 . الحجاج في الدراسات العربية الحديثة

2 . 1 . الحجاج عند أبو بكر العزاوي

2 . 2 . الحجاج عند محمد العمري

2 . 3 . الحجاج طه عبد الرحمن

2 . 4 . الحجاج عند عبد الله صوله

المبحث الثالث:

الحجاج في الدراسات الغربية والعربية الحديثة

1 . الحجاج في الدراسات الغربية الحديثة:

لقد نال موضوع الحجاج، منذ نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، عناية الكثير من العلماء والباحثين نظرا لتغيرات معينة طرأت على المجتمعات ممّا فرض تغيرا في الخطابات واستراتيجيات التواصل بين المتكلمين، وكان اهتمام الباحثين بقضية الحجاج حافزا أساسيا للاهتمام بالموروث القديم وإعادة قراءته وفق مفاهيم ومبادئ ومنهجيات جديدة مستحدثة في حقول معرفية مختلفة كاللسانيات والفلسفة والبلاغة الجديدة، وهذا ما قام به الكثير من الباحثين والعلماء المعاصرين من خلال قراءتهم الجديدة للبلاغة السفسطائية وبلاغة ومنطق أرسطو، وأبرز هؤلاء العلماء نجد أولبريشت تيتيكا وشاييم بيرلمان، وميشال تولمان وديكرو وغيرهم.

1 . 1 . الحجاج عند لوسي أولبريشت تيتكا وشايم بيرلمان: شاييم بيرلمان (Chaïm Perelman) هو فيلسوف بلجيكي متخصص في القانون، كان متأثرا بمنطق أرسطو فربط بين الحجاج والأخلاق، كما درس البلاغة السفسطائية ودرس القانون أيضا، تتمثل وظيفته في الدفاع عن الحجج في القضاء، ولهذا جاءته فكرة إعادة قراءة الموروث الإغريقي بطريقة معاصرة وسماها **بـ "البلاغة الجديدة"** أو بلاغة البرهان، إذ يعود الفضل في استعادة البلاغة لمكانتها في عصرنا هذا إلى العمل الذي قدمه العالمان بيرلمان وتتيكا Olbrechts-Tyteca) خاصة في كتابهما الموسوم (مصنف في الحجاج – البلاغة الجديدة) سنة 1958، حيث يعدّ هذا الكتاب أكثر المصنفات شهرة في البلاغية والحجاج، إذ إنّ «البلاغة الجديدة تدخل في عملية قطيعة مع المنطق البرهاني وفلسفة الوضوح على الطريقة الديكارتية، وذلك

لفتح المجال أمام منطق حجاجي غير رياضي»[1]، فقد استفادت البلاغة البيرلمانية من الدّراسات القديمة خاصة المنطق البرهاني المنسوب لأرسطو وفلسفة الوضوح لديكارت.

لقد قام العالمان بإعادة إحياء ما قدمه أرسطو في الحجاج، و«حاول بيرلمان أن يستعيد بطريقته الخاصة المحاولة التي شرع فيها أرسطو، الذي كان يبحث عن تحديد قواعد بناء المعرفة المشتركة، وقد اعتمد بيرلمان في عمله هذا على البلاغة التي جدد فيها تصنيف الحجج»[2]، إذ فقد حاول بيرلمان بعث التراث اليوناني وبالضبط بلاغة أرسطو، فطورها بطريقة معاصرة.

وبالرغم من أنّ بيرلمان وزميله قد نهجا طريق أرسطو إلاّ أنّ هناك اختلافات بينهم في بعض نقاط، وذلك فيما يتعلق بالحجاج والخطابة والجدل، إذ يعتبر أرسطو الخطابة مرادفة للجدل، في حين يعتبر بيرلمان وتيتكا الحجاج أقرب إلى الخطابة منها إلى الجدل، «وحد الجدل أنّه قياس المؤلف من مقدمات مشهورة بين الناس لا يختلفون فيما، كقولنا: العدل حسن والظلم قبيح، ومن أسباب الاختلاف بين الجدل والخطابة، أنّ الجدل مداره على النظر المحض، في حين إنّ الخطابة همها الأساسي العمل الذي يمارس الخطاب على الجمهور، ومن الأسباب ذلك أيضا أنّ الجدل في نظر المؤلفين يتعلق بالآراء في عدم خصوصياتها فهي آراء غير شخصية، في حين أنّ الخطابة مخصوصة دائما، إذ لا خطابة بدون مقام معين وجمهور معين يعمل الخطاب على إقناعه»[3]، وينطلق الجدل مما هو متفق عليه بين عامة الناس، بينما الخطابة تتطلب مقاما وأحوال الناس حسب طبقاتهم، فالخطابة تطرح فكرة قابلة للنقاش تحمل أبعادا عقلية وأخرى حسية (عواطف ومشاعر) لدفع بالجمهور إلى الأخذ بها بل إنجازها، فهذه الأمور أيضا ما يتطلبه الحجاج، ولهذا عدّ بيرلمان وزميله الحجاج أنّه الأقرب من الخطابة.

---

[1]. فليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص41_42.

[2]. المرجع نفسه، ص42.

[3]. حمّادي صمّود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص306.

ويرى بيرلمان وزميله تيتكا أنّه الرغم اقتراب الخطابة من الحجاج إلا أنّه هناك اختلاف بينهما، ويشمل هذا الاختلاف ناحيتين، وهما:

. نوع الجمهور: «لئن وقفت الخطابة جمهورها على الجماعة المجتمعة في الساحة تستمع إلى الخطيب فإنّ جمهور الحجاج يمكن أن يكون عاما حاضرا أو غائبا كما يمكن أن يكون منشأ الحجاج بين شخصين متحاورين أو بين المرء ونفسه»[1]، بمعنى أنّ الخطابة تشترط حضور الجمهور، ولا يشترط الحجاج ذلك، حيث يمكن أن يكون الجمهور حاضرا أو غائبا، كما يمكن للحجاج أن ينشأ بين متخاطبين، أو أثناء الحوار الذي يجري بين المرء ونفسه.

. نوع الخطاب: «لئن حصرت الخطابة الخطاب في ما هو شفوي فإنّ الخطاب الحجاجي عند المؤلفين يمكن أن يكون منطوقا كما يمكن أن يكون مكتوبا بل إنّهما ليلحان على المكتوب ولا يكادان يأخذان أمثلتهما إلاّ ممّا هو مكتوب»[2]، فالخطابة تكون فقط شفوية، أمّا الحجاج فقد يكون شفويا أو مكتوبا.

ويتمثّل موضوع نظرية الحجاج حسب بيرلمان وتتيكا في دراسة «تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم»[3]، فنظرية الحجاج تدرس مختلف التقنيات والإستراتيجيات التي يوظفها المخاطِب في خطابه قصد إخضاع الأذهان لما يلقى عليها من الأطروحات والتسليم بها، ويمكن الحكم على نجاح هذا الهدف من مدى تقبل السامع لفكرة المتكلم، أو استعداده للقيام بالفعل...الخ.

ويصنف بيرلمان وزميله الحاج إلى صنفين، وذلك حسب نوع الجمهور، ويتمثل هذان الصنفين في «الحجاج الإقناعي (l'argumentation persuasive) وهو يرمي إلى إقناع

---

1. حمّادي صمّود، نظريات الحجاج في تقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص306_307.
2. المرجع نفسه، ص307
3. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص27.

الجمهور الخاص، والحجاج الاقتناعي (l'argumentation convaincante) وهو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل، فهو عام»[1]، فهناك، حسب المؤلفين، حجاج يقدّم لجمهور خاص وهو الإقناعي، وآخر يوجه إلى الجمهور بمعناه العام، بما في ذلك الجمهور الخاص والمخاطب الفرد، والشخص الذي يخاطب نفسه، وهو الجمهور العام الذي يسعى المتكلم إلى إقناعه، وقد جعل المؤلفان «الاقتناع وهو عقلي دائما أساس الإذعان وأساس الحجاج وأنّ الإقناع وهو ذاتي وخاص وضيّق لا يعتدّ به في الحجاج»[2]، وعليه، فإنّ المؤلفين يبعدان عن الحجاج كل ما يرتبط بالإقناع أي ما هو خاص وذاتي وضيّق ولا مجال للعقل فيه، في حين إنّ الاقتناع عقلي، يجد المتلقي حرية الاختيار ويقنع نفسه باعتماد العقل.

وتركّز البلاغة الجديدة عند بيرلمان وزميله أهميتها على المتخاطبين ومقامات الخطاب، ومن أهداف هذا العلم الجديد كذلك «دراسة وسائل التأثير في المخاطبين بمختلف مستوياتهم وبعيدا عن المغالطات والتحريض، أي التأثير العلمي القائم على أسس عقلية»[3]، فبيرلمان بهذا المعنى يبعد البلاغة المبنية على المغالطات والتحريض، مركّزا على الاستدلال العقلي وإبعاد الظّن والاحتمال، وهذا دليل على أنه متأثر ببلاغة أرسطو.

يتضح ممّا سبق أن بيرلمان قدم البلاغة الجديدة كوسيلة لتقوية الحجج في الخطابات فهو تارة يوافق ما جاء به علماء القدامى وتارة يعارضهم. وهذا ما ذهب إليه فليب وجوتييه لقولهما: «إنّ البلاغة الجديدة تتمحور أساسا حول تحليل تقنيات الحجاج وهذه التقنيات يتم بسطها على محورين كبيرين من جهة: محور الخطاب ذاته خاصة بنيات الحجاج الموضوعة موضع التنفيذ ومن جهة أخرى، محور تأثير هذا الخطاب على المتلقي، وذلك

[1]. حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى يومنا، ص301.

[2] . المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص106.

في علاقته بقصدية منتج الخطاب»[1]، فالبلاغة الجديدة عن بيرلمان وتتيكا تصنيف وتحليل تقنيات الخطاب الحجاجي، كما تستهدف دراسة المواقف التواصلية التي يحدث فيها فعل الحجاج، وطريقة عرض المتكلم لحجج على المتلقي الذي يمكن أن يقتنع أو يكون رفضا للفكرة، فيعارض ويقدم دحضا لها.

ويعتمد الخطاب الحجاجي مجموعة من التقنيات والأدوات اللغوية التي تتنوّع وظائفها بتنوّع السياقات التي ترد فيها، يقسّمها بيرلمان وتيتكا تقنيات الحجاج اللغوية إلى فئتين هما «تقنيات طرق الوصل، وتقنيات طرق الفصل، ويقصد بالأولى ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلبا أو إيجابا(...) وتقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعدّ كلّا واحدا، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها»[2]، يعني أنّ المخاطب يلجأ إلى تقنيات لغوية، تسهم في ربط العلاقات بين الحجج والنتائج والتنظيم بينها، وتساعد المتكلم على تحقيق مقاصده باعتماد هيكل مناسب، فتعمل تقنيات الوصل على الوصل، وتشمل كل الحجج التي اهتمت بها البلاغة القديمة والمتمثلة في الحجج الشبه المنطقية وحجج قائمة على بنية الواقع، وحجج مؤسسة لبنية الواقع (كالاستعارة والمثال والشاهد...). أمّا تقنيات الفصل، فهي تعمل على الفصل بين العناصر.

وقد توصل بيرلمان إلى أنّ: «هدف الحِجَاج ليس استنباط نتائج لبعض المقدمات، وإنما إثارة وزيادة قبول المتلقي للأطروحات المقدمة ليقبل بها»[3]، يعني أنّ الهدف من الحجاج

[1] . فليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص46.

[2]. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت_ لبنان، 2004، ص 477.

[3]. فليب بروتون وجيل جوتييه، المرجع نفسه، ص43.

وتوظيف الحجج في الخطاب يكمن في تأثير هذه الأخيرة في المتلقي وإقناعه، مهما كان هذا المتلقي، وبأي وسيلة.

1 . 2 . الحجاج عند أوزوالد ديكرو وجون كلود انسكومبر: ظهرت في العقود الأخيرة من القرن العشرين نظرية حجاجية جديدة في اللغة والتي أرسى أسسها العلم أوزوالد ديكرو (Oswald Ducrot) وزميله أنسكومبر (J. C. Anscombre)، فـ ديكرو هو أحد علماء الفرنسيين المتخصصين في علم الدلالة والتداوليات وأسس نظرية الحجاج في اللغة، فهو يرفض فصل الدلالة والتي تختص بالبحث في معنى الجملة عن التداولية، ولهذا أسس التداولية المدمجة، فقد قدم ديكرو هذه النظرية لتطوير أفكار وأعمال أوستين وتلميذه سيرل وهذا يعنى أن نظرية الحجاج في اللغة منبثقة من نظرية أفعال الكلام، إلا أنّ ديكرو قام بإضافة عنصرين لغويين وهما فعل الاقتضاء والحجاج.

بدأ ديكرو وتلميذه أنسكومبر في وضع نظريتهما الحجاجية سنة 1973 في كتاب بعنوان (الحجاج في اللغة)، تهتم هذه النظرية بدراسة الوسائل اللغوية وبإمكانيات اللغة الطبيعية التي يوفرها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه إلى المتلقين وتمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية لأنّنا نتكلم من أجل التأثير. وتسعى هذه النظرية لإثبات أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة الحجاج، وتنطلق من مبدأ وهو «أنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير»[1]، فالمتكلم عندما ينتج قولا ما فإنّه يقصد التأثير في المتلقي بواسطة بنية اللغة ذاتها (الأصوات والتراكيب والدلالة) فهنا يشير كل من ديكرو وزميله إلى أنّ اللغة تحمل في طياتها وجوهرها وظيفة حجاجية.

لقد رفض ديكرو وزميله رفضا قاطعا التصور القائم على فصل الدلالة عن التداولية، وانطلقا من هذه الفكرة في إبراز بداية لمشروعهما حول الحجاج.

[1]. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط1، دار الأحمدية، دار البيضاء، المغرب، 2006، ص14.

1 . 2 . 1. التداولية المدمجة: هو تيار لساني يتعارض مع النظريات اللسانية التي تفصل بين الدلالة والجانب التداولي في الخطاب، «تعارض التداولية المدمجة تعارض تيارا منطقيا قائما على تصور خطيّ للعلاقة بين التركيب (الإعراب) والدلالة والتداول»[1]، وقد حدد ديكرو ثلاثة مستويات لدراسة اللغة وهي:

المستوى التركيبي: ويعنى بدراسة قواعد النظم بين مكونات اللغوية.

والمستوى الدلالي: ويعنى بدراسة علاقات الكلمات الجمل بمدلولها

أمّا المستوى التداولي: فيعنى بدراسة استعمال الجمل في التخاطب ومدى مناسبتها للمقام.

إنّ هذه المكونات حسب الباحثيْن ليست منفصلة، فكل ملفوظ يحمل في جوهره مؤشرات تلفظية تمنحه معناه وتفسير اقترانه بهذا المعنى دون غيره.

إنّ اللغة حسب ديكرو وأنسكومبر ليست أداة للإخبار فقط، فهي لا تستعمل لوصف الأشياء وتمثيل الواقع فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى تحقيق أعمال لغوية ذات قوة إنجازية تحدد مواقف وتعين المقاصد، حيث يؤكد الباحثان كون اللغة تتضمن بشكل داخلي مجموعة من الإجراءات الخاصة التي تسمح بإقامة تنوع كبير في العلاقات الإنسانية، إذ يوجد حسبهما«لكثير من الأفعال القولية وظيفة حجاجية تتمظهر في بنية الجمل، وتحمل الجمل المؤشرات تحدد قيمتها التداولية داخل البنية التركيبية، باستقلال عن المحتوى الإخباري»[2]، فهما يؤكدان أنّ كل خطاب له وظيفة حجاجية إلى جانب الوظيفة الإخبارية.

فإذا كانت الظواهر التداولية متعمقة في المستوى اللساني للأقوال، فإنّ الحجاج هو أيضا ظاهرة لغوية تداولية، ويعتبره المؤلفان مكونا من مكونات البنية اللغوية، لذا ركّزا في دراساتهما على الحجاج في اللغة، يقول ديكرو في هذا الصدد «إن الملفوظ ينطوي في ذاته

[1] . حمّادي صمّود، أهم نظريات الحجاج في تقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص353.

[2] . محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، 2005، ص106

على إشارة للطابع الحجاجي للمحمولات التي تشكله»[1]، فكل ملفوظ يحمل في ذاته طابعا حجاجيا.

ويميّز ديكرو بين الحجاج والاستدلال، «فالاستدلال أساسه ربط المتكلم آراءه واعتقاداته بحالة الأشياء في الكون»[2]، أما الحجاج فهو«عملية موجودة في الخطاب نفسه، أي لا يستند إلى أي حدث في الكون خارجي عن اللغة، فالحجاج خاصية لغوية دلالية وليست ظاهرة مرتبطة بالاستعمال في المقام»[3]، فالاستدلال حسب ديكرو أساسه قضايا كونية ومجاله المنطق، أما الحجاج فلا يخضع لاعتبارات خارجية ومنطقية، بل لاعتبارات داخلية لغوية، حيث إن اللغة هي التي تحدد درجة قوته، ومجال الحجاج هو الخطاب والحجاج هو نظام داخلي للخطاب «هذا النظام يحدد ترابط عناصر الخطاب وتناميها، بحيث يبدو الخطاب سلسلة من المكونات التي تلبي اشتراطات محددة، وتشير إلى مظاهر الاستمرار المحتملة، كما توجه المكون اللاحق في هذا الاتجاه أو ذاك»[4]، فالخطاب خاضع لنظام حجاجي يقوم بربط مكوناته ويساهم في تكوين المقاصد، ولهذا يعرف العالمان الحجاج بأنّه «إنجاز لمتواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج، وبعضها الأخر هو بمثابة النتائج»[5]، ويساهم في تحقيق الحجاج مجموعة من الآليات اللغوية تتمثل في الروابط والعوامل تسمى بالروابط والعوامل الحجاجية، مهمة هذه الأخيرة هو إعطاء توجه حجاجي للقول، وتوجه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك، بالإضافة إلى محتواها الإخباري، وتقوم نظرية الحجاج اللغوي على مجموعة من المفاهيم من بينها التقنيات أو الوسائل اللغوية التي تعتبر

[1] . عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص97.

[2]. جايلي عمر، نظرية الحجاج اللغوي عند اوزفالد ديكرو وأنسكومبر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثالث، تصدرها جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2018، ص197.

[3] . المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص97.

[5]. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص16.

لب هذه الدراسة، ويرى ديكرو وزميله أنسكومبر أنّ الحجج عندما تتفاوت من حيث قوتها التأثيرية الإقناعية، تشكّل سلما حجاجيا. وسيتمّ شرح هذا العنصر في الفصل الثاني.

لقد أشار ديكرو إلى أنّ الآليات اللغوية هي التي تحدد قيمة الحجة وبها يتم تحديد النتيجة، إلا أنّ هناك بعض الحجج ترد بدون وجود رابط أو عامل لغوي، ويذهب ديكرو إلى أنّ «الحجة قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق، والشيء نفسه بالنسبة للنتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما»[1]، ويوضح أبو بكر العزاوي هذه الفكرة بالمثال التالي:

أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة. صرح بالحجة (أنا متعب) والرابط (إذن) والنتيجة (أنا بحاجة إلى الراحة).

أنا متعب، بحاجة إلى الراحة. صرح بالحجة، والنتيجة وحذف الرابط.

أنا متعب. صرح بالحجة، والنتيجة والرابط محذوفان يتم استنتجهما من خلال السياق.

أنا بحاجة إلى الراحة. ذكرت النتيجة ويفهم حاجته للراحة لوجود سبب. فهذه النتيجة تستلزم وجود سبب.

وانطلاقا ممّا سبق، يذهب العزاوي إلى أنّ الحجج اللغوية تتسم بعدة سمات، يمكن تلخيصها فيما يلي: فيما يلي[2]:

– إنها سياقية: فالسياق هو الذي يجعل من عنصر دلالي ينتجه المتكلم ويؤدي إلى عنصر دلالي آخر حجةً، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثم إن العبارة الواحدة، قد تكون حجة أو نتيجة، أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق.

– نسبية: لكل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها، وبعبارة أخرى هناك الحجج القوية والحجج الضعيفة والحجج الأوهى والأضعف.

---

[1] . أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 18.

[2] . المرجع نفسه، ص19، 20.

قابلة للإبطال: فالحجاج اللغوي ليس مطلقا، بل هو نسبي ومرن وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي.

نصل مما سبق إلى أنّ ديكرو وأنسكومبر يقران في نظريتهما الحجاجية أنّ اللغة لها وظيفة حجاجية، وأنّ الحجاج لصيق باللغة وملازم لها، ولا يمكن الفصل بينهما، كما أنّ اللغة ذات توجيه حجاجي وتساهم الروابط والعوامل اللغوية في تكوين الحجج.

1 . 3 . نظرية المساءلة لـ ميشال ماييرM. Meyer): يشتغل ماييرمنصب أستاذ الفلسفة في بروكسل (بلجيكا)، وهو مدير للمركز الأوروبي لدراسة الحجاج، اهتم بالفلسفة والبلاغة واللغة، وهو وصاحب مقولة «إنّ العقل الغربي يمر بأزمة»[1]، ويقصد وجود قوة تقيد وتسيطر على العقل الغربي وتساهم في انغلاق التفكير في المسائل المتعلقة بالحياة،

كما أن هذه القوة لا تسمح بتحرير الإنسان إلاّ من خلال مناقشة الآراء بالسؤال والجواب والدفاع عن الأفكار وتقديم الحجج ودحضها، فهو يسعى إلى إحياء فكر ديكارت في الوجود صاحب المقولة الشهيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود"[2]، فقد أدرج الفكر الديكارتي في نظريته حول الحجاج لإدراك قيمة التفكير التي تجعل الإنسان يفرض وجوده عن طريق الحوار والمناقشة مع الغير، كما أنّها رسالة تشجع فرض وإثبات الذات في المجتمع.

يعتبر ماييرأنّ الحجاج قائم بين السؤال (الفعل) بعرض رأي، والجواب (ردة الفعل) الذي يتمثل في قبول الرأي أو رفضه وإعطاء البديل المتمثل في حجة معارضة، يقول ماييرفي هذا الصدد: «إنّ اعتماد المساءلة في الفكر يعنى الانتقال من الذات الخالصة إلى أوساع الآخر»[3]، إذ يعتبر المساءلة لب دراسة الحجاج لأن السؤال منفتح على عدة أجوبة، فمثلا ينطلق المتكلم من إخبار الطرف الثاني بمعلومة، وهذه الأخيرة عبارة عن فكرة تعبر

[1] . محمد سعد بن الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص66.

[2] . المرجع نفسه، ص66.

[3] . المرجع نفسه، ص67.

عن رأي يمكن أن تحتمل الصدق أو الكذب، فالطرف الثاني يحتاج إلى الاستفسار وتوضيحات حول هذا الرأي عن طريق الأسئلة، وأهم الركائز التي تقوم عليها النظرية هي «الركيزة الأولى:المجاز والبلاغة، والثانية: السؤال والجواب، والثالثة: الضمني والمصرح به»[1]، وقد اقتصرت الدراسات العربية على الجانب الأول وهو المجاز والبلاغة، و حيث يؤدي المجاز، حسب مايير، إلى خلق التساؤل لدى المتلقي، ويوضح ذلك من خلال علاقة السؤال بالجواب ودورهما في تأسيس الصور البلاغية، ويوضّح حمادي صمود ذلك بالمثال التالي «**محمدٌ أسدٌ**(...) يتساءل المخاطب عن مقصد المتكلم وعن سبب اقتران (محمد) بـ (الأسد)»[2]، فطبيعة الكلام المبنية على السؤال والجواب هي التي تنتج الحجاج، بمعنى أنّ السؤال والجواب يؤديان إلى النقاش والتفاوض بين المتخاطبين، ويمثل ذلك الحجاج. وهكذا ينظر مايير إلى سيرورة الحجاج، والتي تتمّ بالمساءلة، ويقول مايير عن السؤال بأنّه «يولد خيارات متعددة في الجواب، وهذا الأخير ليس ناجزا قارا بل هو امتدادات لا تفتأ تتفتح وتتطور، وتنتج البدائل، لذلك فوحده الاستشكال يمنح للثقافة المعاصرة تعدد المعاني»[3]، والصور البلاغية مبنية على المجاز الضمني (أسلوب غير مباشر) هذه الصور تعمل على تأسيس فعل الحجاج وتحفز المتلقي على البحث عن المعنى المستتر، وتوصله إلى أفق التأويل (علاقة السؤال بالجواب)، وكلما توسع التأويل قوي الحجاج.

2 . الحجاج في الدراسات العربية الحديثة:

لقد لقي الحجاج اهتمام الباحثين العرب المحدثين وعنايتهم من خلال اطلاعهم على النظريات الغربية القديمة والحديثة، مما أدى بهم إلى قراءة الموروث العربي قراءة جديدة من منظور غربي، حيث بذلوا جهودا معتبرة في ذلك، وألفوا كتبا قيّمة في الحجاج، وطبقوا تلك

[1] . خالد حوّير، حجاجية السؤال في خطاب الإمام الحسين عليه السلام، مجلة الإصلاح الحسيني، ع8، تصدرها مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، بغداد، ص9.

[2] . حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 397.

[3] . محمد سعد بن الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص67.

النظريات على نصوص وخطابات مختلفة، ومن أبرز هؤلاء الباحثين: محمد العمري، أبو بكر العزاوي، وعبد الله صولة، وطه عبد الرحمن.

2 . 1 . الحجاج عند أبي بكر العزاروي: برز الاهتمام بالحجاج عند أبي بكر العزاوي من خلال تقديمه لبحثه الذي عنوانه (الروابط الحجاجية في اللغة العربية)، فهذا البحث كان موضوع رسالته لنيل شهادة الدكتوراه في فرنسا تحت إشراف العالم اللغوي أوزفالد ديكرو، ويعتبر بعض الباحثين أبي بكر العزاوي «أحد مؤسسين للنظرية الحجاجية في العالم العربي، وذلك أنّه في الوقت الذي لم نكن نسمع عن الحجاج في المغرب أو العالم العربي كان المؤلف قد شرع في إنجاز أطروحته الأولى في الحجاج سنة 1983م، بإشراف العالم اللغوي ديكرو، إذ لم يكن في العالم العربي إلا باحث واحد مختص بالحجاج والمنطق ألا وهو الدكتور طه عبد الرحمان»[1]، يقر هذا الباحث بأنّ العزاوي هو من بين المؤسسين الحقيقين للحجاج في اللغة في العالم العربي، وقد أشرف على رسالته في الدكتوراه عالم متخصص في الحجاج وهو أزوالد ديكرو.

لقد ركز أبو بكر العزاوي في أعماله على نظرية الحجاج في اللغة باعتبارها نظرية دلالية تحمل فكرا جديدا، ممّا جعله يكرس جهوده للبحث في الدراسات المهتمة بوصف الجوانب الحجاجية في اللغة، من أشهر مؤلفاته كتابه الموسوم (اللغة والحجاج) درس فيه العلاقة القائمة بين اللغة والحجاج، ووصف الجوانب الحجاجية في اللغة العربية، قام في الفصل الأول من الكتاب بتعريف نظرية الحجاج في اللغة ثم الأسس التي وضعها ديكرو، أما في الفصل الثاني فقد عرض العوامل والروابط الحجاجية الموجودة في اللغة العربية، فقد درس على الآليات اللغوية العربية من منظور غربي متبعا في ذلك منهج ديكرو في التفرقة بين العوامل والروابط الحجاجية. وتحدث في الفصل الثالث عن الاستعارة باعتبارها قوة

[1] . عايد جدوع حنون، العوامل الحجاجية في أيات الأحكام، مجلة أوروك، العدد الرابع، جامعة المثنى، العراق، ع4، المجلد 9، 2016، ص10.

حجاجية تؤدي إلى التغيير في العالم، وفي الفصل الرابع والأخير قد تطرق إلى موضوع أفعال الكلام وشرح كيف يكون الفعل اللغوي ذي سلطة في أي الخطاب كان، واعتنى بقوة الكلمات التي تساهم في تأثير وإقناع قارئ أو سامع الخطاب، ويرى أنّ نظرية الحجاج في اللغة «تريد أن تبين أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها»[1]، نجد العزاوي يذهب مذهب أستاذه ديكرو بأنّ اللغة في حد ذاتها تحمل وظيفة حجاجية.

ويعرف العزواي الحجاج بأنّه «ظاهرة لغوية نجدها في كل قول وفي كل خطاب، سواء أكان الخطاب فلسفيا أم أدبيا أم دينيا أم اقتصاديا أم سياسيا ... نجده في الأسماء والأفعال والصفات والظروف والحروف، ونجده في التراكيب النحوية والصور البلاغية. نجده باختصار في كل ظواهر اللغة بشكل أو بآخر»[2]، فنظرة العزاوي إلى الحجاج نظرة لغوية محضة، تتفق مع نظرة ديكرو تماما.

ويهدف أبو بكر العزاوي في دراساته إلى بيان قيمة التحليل الحجاجي لمختلف أنماط الخطابات، سعيا إلى تطوير وتوسيع مجال نظرية الحجاج في اللغة من خلال اقتراح جملة من المفاهيم والاصطلاحات مثل«البرنامج الحجاجي والإستراتيجية الخطابية، والعلائق الدلالية المنطقية والروابط والعوامل الحجاجية والانسجام الحجاجي التداولي وغيرها»[3]، أخذ المفاهيم الغربية التي استخدمها ديكرو في نظريته وطبقها من خلال دراسته للحجاج في اللغة العربية.

---

[1] . أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص14.

[2] . محمد مشبال، "مفهوم الخطاب من منظور حجاجي"، ضمن كتاب: الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2017، ص39.

[3] . زقرور نجمة، البنية الحجاجية في قصص الأنبياء، ص73. أخذته عن: أبوبكر العزاوي، حوار حول الحجاج، ط1، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، 2010، ص13.

كما ألف أبو بكر العزاوي كتابا بعنوان (الخطاب والحجاج) والذي أُصدر سنة 2007م، امتدادا وتطوير الكتاب السابق، ففي كتابه الثاني يتحدث عن الوظيفة الحجاجية في الخطاب من خلال ربطه بالمتكلم والسامع والظروف المحيطة بالسياق، وقد طبق الحجاج اللغوي على الخطاب القرآني سورة الأعلى أنموذجا، وعلى الخطاب الإشهاري، وبين أنّ السياق اللغوي وغير اللغوي لهما بعدا حجاجيا، كما بين أيضا أنّ طبيعة الحجاج ومظاهره تختلف من خطاب إلى آخر، فدراسة الحجاج عنده لا تقف عند ملفوظ أو جملة بل تتجاوز ذلك إلى دراسة الخطابات، وقد أشار إلى ذلك في سياق حديثه عن الحجاج، قائلا: «وإنّما مجاله الحقيقي هو الخطاب والحوار حيث تظهر وجوه استعماله وتتجلى طرائق اشتغاله»[1]. يبين أنّ مجال الحجاج هو الخطاب، وفيه تتضح وجوه استعمال الحجاج وكيفية توظيفه.

ويقتصر التحليل الحجاجي عند العزاوي على إبراز الجوانب الاستدلالية للنص (بصرف النظر عن شخصية وثقافة أطراف التواصل)، يعنى أي يركز على اكتشاف منطق الخطاب، وقواعده الداخلية والمتحكمة في تسلسل الأقوال والجمل وتتابعها بشكل متنام وتدريجي، فالحجاج بهذا المعنى، يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجيه داخل الخطاب .

كما يركز موضوع التحليل عنده على دراسة الانسجام الحجاجي التداولي في الخطاب. وقد درس الانسجام من خلال الآليات الآتية:

- الروابط الحجاجية سواء أكانت صريحة أو ضمنية
- التعارض الحجاجي
- العوامل الحجاجية[2].

[1] . أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت لبنان، 2010، ص35

[2] . محمد مشبال، "مفهوم الخطاب من منظور حجاجي"، المرجع نفسه، ص39-40.

2 . 2 . الحجاج عند محمد العمري: تعتبر الأعمال التي قدمها محمد العمري في مجال البلاغة والحجاج امتدادا لنظريات حجاجية غربية وعربية قديمة وحديثة،ومن أهم أعماله:

1_ في بلاغة الخطاب الإقناعي.

2_البلاغة العربية أصولها وامتداداتها.

3_تحليل الخطاب الشعري.

لقد قدم محمد العمري تعريفا للخطابة انطلاقا من المنظور الإغريقي، فحاول إسقاط تعريف الخطابة عند اليونان على ما احتوته البلاغة العربية، فهو متأثر بالغرب، مثلا، قدأشارفي أحد كتبه إلى أن: «عناصر بناء الخطابة عند أرسطو ثلاثة: وسائل الإقناع أو البراهين، والأسلوب أو البناء اللغوي، وترتيب أجزاء القول، ثم هناك عنصر الإلقاء الذي اعتبره الدارسون للخطابة بعد أرسطو، ومنهم البلاغيون العرب، عنصرا مستقلا، ويتضمن الحركة والصوت»[1]، يعني أنّ صناعة القول تتمّ من طرف الخطيب الذي يهدف إلى الإقناع، ولكن العمري يوحي إلى أن الحركة والصوت في الخطابة من تأليف العرب، لكن قد ذكرها سقراط في دور الإيماءات ودرجات رفع وخفض الصوت، ونحاها أفلاطون.

لقد ألف محمد العمري كتابا بعنوان (بلاغة الخطاب الإقناعي) سنة 1986، درس فيه الخطاب الحجاجي الذي يهدف إلى التأثير والإقناع، فهو مهتم بالحجاج والبلاغة والفلسفة والمعرفة بصفة عامة، حاول أن بيّن كيف تسعى هذه العلوم إلى التحليل الإقناعي (مهتما بفن الإقناع) وهو قد اطلع على النظريات الغربية الحديثة، بالخصوص مما لفت انتباهه لدراسة الحجاج بمنظور عربي «وهو انتباه لديه اطلاّعه المكثف على نصوص التراث العربي والغربي قديمهما وحديثهما»[2]، فقد تعمق في التراث العربي القديم والدليل مما ساعده

[1] . محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص20.

[2] . أبو بكر زروقي، الخطاب الحجاجي في صحيح البخاري دراسة تداولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2017/2016، ص113.

على تأليف كتابه (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها)، فتعمق في دراسة التراث العربي، فاتخذه عمودا لمشروعه، حيث «أعاد قراءة التراث البلاغي، في ضوء المعطيات الحديثة، ولا نستطيع القول بأن العمري قد لخص الأعمال البلاغية التراثية أو شرحها؛ بل كشف عن الغامض، وبين المختفي، وأكمل الناقص منها»[1]، فقد اجتهد محمد العمري في إحياء التراث العربي القديم، وأعاد قراءته من منظورحديث.

ويشكل الحجاج عند محمد العمري مبحثا بلاغيا، أمّا البلاغة فهي عنده «علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال»[2]، حيث تقوم البلاغة بوظيفة التأثير في المتلقي، وفي موضع أخر يقول أنّها«أداة الفهم والإفهام وأداة التأثير والاستمالة»[3]، فهي تحمل وظيفتين؛ الأولى تتمثل في الفهم والإفهام، والثانية تكمن في وظيفة التأثير والإقناع.

وقد بيّن محمد العمري أسباب اهتمام العرب بقضية الحجاج إذ «برزت أهمية الحجاج خاصة في البرهنة على الفرضيات الكلامية المتعلقة بكلام الله وقضية خلق القرآن والصفات، حيث بدأ مع تناول هذه القضايا الاهتمام الفعلي بتوظيف الآليات اللغوية والبلاغية والسياقية المقامية من أجل ترجيح قضية ما على غيرها»[4]، وهذا دليل على أنّ العرب القدامى يمارسون الحجاج في قضايا يومية وفي قضايا المعتقدات خاصة الدينية منها.

ويعد كتاب العمري (في بلاغة الخطاب الإقناعي) أول كتاب يهتم بعملية الإقناع في البلاغة العربية، وتمثلت مدونته التطبيقية في الخطابة العربية في القرن الأول الهجري. ويرى أنّ البحث عن الحجاج يستوجب حسن التفريق «بين الخطابات التي تستهدف الحجاج والإقناع والخطابات التي لا تستهدف ذلك، ولكنها لا تخلو من بعد حجاجي ناتج عن

[1] . بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة قراءة، 142.

[2] . مجموعة من المؤلفين، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص120.

[3] . المرجع نفسه، ص119.

[4] . محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص261.

السياقات الموجهة للخطاب»[1]، فكل خطاب يتطلب منهجية للتحليل، فلا يمكن تحليل الخطاب الشعري بتقنية تحليل الخطاب النثري مثلا.

كما ألف كتابا آخر بعنوان(البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها)، فقد«اهتم بالبلاغة العربية القديمة باحثا في نصوصها الإبداعية الشعرية والنثرية وما يتصل بهما من خطابات نقدية»[2]، فقد حاول قراءة البلاغة العربية قراءة جديدة، ويرى أنّ التراث البلاغي العربي القديم يتسم بالعمق والشمول، ويعتبر محمد العمري أول من أثبت أنّ البلاغة العربية القديمة قائمة على نوعين: بلاغة شعرية وبلاغة نثرية تداولية حجاجية، وقد أشار إلى التداخل الحاصل بين البلاغة والحجاج، والشيء الذي يؤكد عليه هوّ أنّ الإقناع هو «مقصد أساسي في الخطب والنصوص ذات المنزع التأثيري، لقد شكل نواة البحث الحجاجي والقلب الرابط بين البلاغة القديمة(الأرسطية، وفي صياغتها العربية القديم) والبلاغة الجديدة (نظريات الحجاج والتداولية ونظرية الأعمال اللغوية) فالإقناع هدف يتحقق عبر توسل أدوات وأساليب بلاغية (أي لغوية تركيبية بيانية)»[3] فاقترح في كتابه (فن الإقناع) طريقة مهمة لتحليل الخطابة تحليلا حجاجيا.

2 . 3 . الحجاج عند طه عبد الرحمن: اهتم طه عبد الرحمن بأصول الفلسفة والمنطق اليونانيين من أجل الإسهام في نظرية حجاجية عربية، فهو أستاذ في فلسفة اللغة لذلك فقد طغى الطابع الفلسفي على أرائه، كما أنّه متأثر بعلماء القدامى مثل ابن الرشد، وابن خلدون، والشاطبي، والغزالي...الخ، وتتمثل جهود طه عبد الرحمن في بيان منهج التراث العربي في الحجاج وربطه بالنظريات الحجاجية الغربية الخاصة بالمنطق، ومن أبراز أعماله:

1_ تجديد المنهج في تقويم التراث.

---

[1] . زقرور نجمة، البنية الحجاجية في قصص الأنبياء، ص71.

[2] . محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 255.

[3] . عبد الباسط ضيف، المشروع البلاغي عند محمد العمري بحث في بلاغة الحجاج – دراسة تفاضلية– ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في إطار مدرسة الدكتوراه، قسم اللغة والأدب، جامعة الجلفة، 2017/2016، ص 78.

2_ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي.

3_الحجاج والتواصل.

4_ أصول الحوار وتجديد الكلام.

يرى طه عبد الرحمن بأنّ الحجاج صفة جوهرية في الخطاب، وأنه لا وجود لخطاب بدون حجاج، ذلك أنّ «الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناء على أنّه لا خطاب بغير حجاج»[1]، فالحجاج هو الأصل في الخطاب، وحقيقة الخطاب بالنسبة لهذا الباحث هو الدخول في علاقة مع الغير على مقتضى الادعاء والاعتراض، ويسمي هذه العلاقة علاقة استدلالية، ومن سمات الخطاب التفاعل بين المخاطِب والمخاطَب، فالمحاجج عندما يلقي خطابا ما فإنّه يسعى إلى إثارة ردود أفعال المتلقي ليتفاعل مع رسالته، وإقناعه بمضمونها، ولذلك يرى طه عبد الرحمن أنّ الخطاب ليس مجرد دخول في علاقة تخاطبية بين المتكلم والمتلقي، بل إنّه إلى جانب احتوائه قصد التوجه إلى الغير وإفهامه، فإنّ للخطاب قصدين؛ وهما الادعاء والاعتراض، وهذا يدل على أنّ طه عبد الرحمن متأثر بفكرة بيرلمان وزميله تيتكا بخصوص العلاقة الاستدلالية القائمة بين المخاطِب والمخاطَب إلى جانب العلاقة التخاطبية.

فبخصوص قصد الادعاء «فمقتضاه أن المنطوق به لا يكون خطابا حتى يحصل من الناطق صريح الاعتقاد لما يقول من نفسه، وتمام لاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، ذلك لا يخلو عن الاعتقاد يجعل الناطق، إما ناقلا لقول غيره، فلا يلزمه اعتقاده، وإما كاذبا في قوله، فيكون عابثا باعتقاد غيره، ولأن الخلو عن الاستعداد للتدليل، يجعل الناطق، إما متحكما بقوله، فلا يتوسل إلا بسلطان، وإما مؤمنا بقول غيره، فلا يحتاج إلى برهان»[2]، فهو خاص بالمخاطِب أثناء ادعائه لشيء لابد عليه أن يثبت حججه بآراء وأدلة.

[1] . طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص213.

[2] . المرجع نفسه، ص225.

أما بخصوص **قصد الاعتراض** «فمقتضاه أن المنطوق به لا يكون خطابا حقا، حتى يكون للمنطوق له حق مطالبة الناطق بالدليل على ما يدعيه الناطق، فلا سبيل إلى تمحيص دعاويه، وإما عديم المشاركة في مدار الكلام»[1]، فهو خاص بالمتلقي الذي يحق له الاعتراض على الدعاوى المطروحة عليه، وإثبات اعتراضه بأدلة وبراهين. ولذا فحد الحجاج عنده «أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[2]، فمعنى هذا القول أن الحجاج هو وسيلة تواصلية يوظّفها المخاطِب والمخاطَب قصد إفهام الادعاء في الشيء الذي يكون من إنتاج المتكلم والدفاع عنه والاعتراض الذي من طرف المتلقي ومحاولته لدحض الادعاء بإتيان ببراهين والأدلة لإثبات وجود خطأ في الفكرة، ويبدو أنّ طه عبد الرحمان يقرّب مفهوم الحجاج من مفهوم الجدل، فنظريته في الحجاج ذات طابع فلسفي.

ولا تتوقف وظيفة الحجاج على إنشاء علاقة استدلالية بل يضيف له وظيفة أخرى وهي التي تميّزه عن البرهان، وهي وظيفة الالتباس، ويقر طه عبد الرحمن أنّ ما يقصده بالالتباس هنا «ليس هو تعدد معاني اللفظ الواحد في الدليل (...) ولا أنّ أصله هو غموض في تركيب الجملة الواحدة في الدليل، بحيث تقبل هذه الجملة تحليلين نحويين مختلفين، فأكثر»[3]، فالالتباس المقصود لا يتعلق بتعدد معاني اللفظ أو تعدد تفسير النحوي للجملة، بل الالتباس الحجاجي المقصود هو«أنّ الحجاج يجتمع فيها اعتباران هما ((اعتبار الواقع)) و((اعتبار القيمة)) (...) بمعنى أنّ الحجاج يزدوج فيه طلب معرفة الواقع وطلب الاشتغال بقيمته»[4]

وقسم طه عبد الرحمن الحجاج إلى ثلاثة أصناف، وهي:

---

[1] . طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص225.

[2] . المرجع نفسه، ص226

[3] . المرجع نفسه، ص 230.

[4] . المرجع نفسه، ص230

أ . الحجاج التجريدي:«وهو الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان، علما بأن البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتب صور العبارات بعضها على بعض، بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها»[1]، هو حجاج لا يهتم بمضمون الدعوى ولا بمراعاة المقام فهو حجاج شكلي شبيه بمنطق أرسطو الذي يوافق بين المقدمات والنتائج.

ب . الحجاج التوجيهي: «وهو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علما بأن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته على غيره»[2]، والتوجيه هو الفعل الذي يقوم به المتكلم (المرسل) الذي يوجه حجة أو دليل، فيركز على أقواله وأفعاله وعلى الطريقة التي يقنع بها المتلقي بفكرته، ولا يركز على المتلقي.

جـ . الحجاج التقويمي:«وهو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية، يُنزِلها منزلة المعترض على دعواه، فهاهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة على المخاطَب ...فإنّ المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه، مراعيا فيه كل مستلزماته من قيود تواصلية وحدود تعاملية»[3]، أي أن المتكلم (المستدل) عليه أن ينقد نفسه قبل أن ينقد غيره، ويجعل من ذاته ذاتين ذاتا أولى تعترض الدعوى وتثبت اعتراضها بأدلة وحجج، وذاتا ثانية تنتقد الذات الأولى، فالمستدل يضع نفسه مكان المتلقي.

هناك من الباحثين من يرى بأنّ طه عبد الرحمن من الباحثين المحدثين الذين تعمقوا في التراث العربي وربطوا الحجاج بالتداولية، فالحجاج عنده هو فعالية جدلية تداولية، فهو تداولي لكونه يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات المقام ويهدف إلى اشتراك المعرفة جماعيا، وهو جدلي لأنّ هدفه إقناعي، كما يتسم الحجاج حسبه بالتفاعل والتجاذب بين المخاطِب والمخاطَب،

---

[1] . طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص226.

[2] . المرجع نفسه، ص227.

[3] . المرجع نفسه، ص228.

حيث يقول أحد الباحثين : «هو ارتباطه العميق بالتراث العربي الإسلامي، والكشف الذكي عن الوجه الدلالي والتداولي الساكن في مدوناته»[1].

2 . 4 . الحجاج عند عبد الله صولة (1952_ 2009): لقد اعتمد عبد الله في دراساته للحجاج على النظريات الحجاجية الغربية والعربية القديمة والحديثة، ينتمي إلى الجامعة التونسية وهو «أحد أبرز أعلامها في البحوث الأسلوبية، والحجاج، والتداولية والعلوم المعرفية»[2]، له عدة أعمال في هذه المجالات، مشروعه في الحجاج والذي قدّمه في أطروحته الدكتوراه بعنوان (الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية) وهي أطروحة مميزة عالية الجودة، استعان عبد الله صّوله في هذا البحث بالنظريات الغربية القديمة والحديثة، وبيّن أيضا أصالة الحجاج عند العرب وما جعل أطروحته مميزة عن بقية البحوث المعاصرة هو تطرقه للحجاج في الخطاب القرآني، فأصبحت أطروحته اليوم مرجعا أساسيا لكل باحث عربي في مجال الدراسات الحجاجية، ومن أسباب خضوعه لدراسة الحجاج هو تبادر مجموعة من التساؤلات إلى ذهنه ، أهمها«ما الحجاج؟ وكيف يمكن أن يكون منه شيء في القرآن؟ ما المقصود بالخصائص الأسلوبية التي تروم رصد بعدها الحجاجي في القرآن دون سائر ما فيه من مظاهر لغوية وقصصية ومضمونيه عامة؟»[3]، هذه التساؤلات كانت لب دراسته لتأسيس نظرية حجاجية عربية حديثة.

ولقد توصل عبد الله صولة من خلال الدراسات الحجاجية العربية والغربية إلى استنتاج ثلاثة مفاهيم للحجاج، منها[4]:

الحجاج مرادف للجدل

الحجاج قاسم مشترك بين الجدل والخطابة

---

[1] . محمد سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص89.

[2] . محمد سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص89.

[3] . عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص11

[4] . المرجع نفسه، ص12

الحجاج مبحث فلسفي ولغويّ قائم بذاته.

درس عبد الله صولة الكلمة ودلالتها عبر المراحل فيما يعرف بحركة الكلمة الحجاجية، وكيف تكون القوة الإنجازية للكلمات، وكيف تكون لها،وقد قسم الحجاج إلى ثلاثة أقسام: «الحجاج على مستوى الكلمة والحجاج على المستوى التركيب والحجاج على مستوى الصورة»[1]، فاهتم بالحجاج على مستوى الكلمة، أي المعنى الموجود في المعاجم والمعاني النحوية في النص القرآني، لأن صولة كان يُدرّس علم الدلالة، ولهذا ربط هذا العلم بالحجاج القرآني، ذاهبا إلى أنّه «قد توضّحت للدارس أنّ الحجاج بنية دلالية تستعمل لأغراض بلاغية تداوليّة اعتمادا على أبنية نحويّة معيّنة»[2]، فقد اهتم بالحجاج البلاغي والحجاج اللغوي، وعرض أهم النظريات المعاصرة في الحجاج.

يرى عبد الله صولة في البلاغة أنّ الجمال في الصور غير مناسب للنص القرآن وفي هذا الصدد يقول: «أن يكون الاهتمام بالجمال في دراسة الأدبية لا في دراسة النصوص الدينية»[3]، ، إذ يعارض دراسة الصور الجمالية في النص القرآني كونه يرى أنّ الجمال يكمن في الزخرفة والمجازات ويقول أنّ النص القرآني قول يعجز أحد عن تأليفه.

[1] . صابر حباشة، التداولية والحجاج، ص52.

[2] . عبد الله صولة، نظريّة الحجاج دراسات وتطبيقات، ص7.

[3] . المرجع نفسه، ص52.

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

بعض آليات الحجاج اللغوية والبلاغية في سورة آل عمران

المبحث الأول: الآليات اللغوية

1 . الروابط اللغوية

2 . السلالم الحجاجية

3 . العوامل الحجاجية

المبحث الثاني: الآليات البلاغية

1 . الاستعارة

2 . التشبيه

3 . الكناية

4 . الطباق

5 . المقابلة

الفصل الثاني:

آليات الحجاج اللغوية والبلاغية في سورة آل عمران

تمهيد:

نظرا لكون الخطاب القرآني خطابا حجاجيا بالدرجة الأولى لأنّه أُرسل من أجل التأثير على المتلقيين وتغيير سلوكاتهم باعتماد ملفوظات هي بمثابة حجج، يتقبل المتلقون تلك الملفوظات وهي بمثابة نتائج، فقد اعتكف الباحثون والدارسون العرب من أجل استيعاب النظريات الحجاجية بكل توجّهاتها من أجل دراسة النص القرآني والكشف عن مختلف الآليات التي يعتمدها لغرض إقناع المتلقين باستعمال الحجاج والبرهان والاستدلال.

وحاولت من خلال هذه الدراسة التطبيقية الاستفادة من بعض الدراسات التي أُنجزت في هذا الموضوع لاستنتاج بعض الآليات اللغوية والبلاغية الموظّفة في سورة آل عمران وتوضيح الدور الذي تؤديه تلك الآليات لإبانة المقاصد والأحكام من السورة، وقد قمت بتحليل بعض النماذج بالتركيز على بعض الآليات اللغوية والبلاغية، ويتضمّن هذا الفصل مبحثين، هما:

المبحث الأولى: الآليات اللغوية

المبحث الثاني: الآليات البلاغية

المبحث الأوّل: الآليات اللغوية

لقد اهتمت اللسانيات والتداولية بدراسة الحجاج بالتركيز على الوسائل اللغوية والمقومات السياقية، باعتبار أنّ كل لغة تحتوي في بنياتها على معلومات تتعلق بالحجاج، فهذه الآليات اللغوية يعتمدها المتكلم لغرض التأثير في المخاطب وتحقيق أهداف حجاجية تتمثل في الإقناع، إذْ يذهب ديكرو (صاحب النظرية اللغوية للحجاج) «أنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير»[1]، بمعنى أنّ اللغة تحمل في جوهرها وظيفة حجاجية، والحجاج متجذر في اللغة ومرتبط بها في كل مستوياتها (الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية) فقد درس ديكرو في نظريته الآليات اللسانية وبيّن أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي الوظيفة الحجاجية، فاللغة تحمل في بنياتها قوة حجاجية تساهم في أداء وظيفة التأثير على المتلقي، ويعتبر الدارسون الخطاب القرآني، بصفة عامة، خطابا حجاجيا غرضه التأثير والإقناع باعتماد آليات لغوية وتمثلات حجاجية مختلفة، وسورة آل عمران بصفة خاصة قد تعددت فيها مظاهر الحجة، وتزخر بآليات حجاجية لغوية وبلاغية.

أولا . الروابط الحجاجية في سورة آل عمران:

1 . تعريف الرابط الحجاجي:

الرابط الحجاجي عبارة عن وحدة لغوية تعقد العلاقة بين كلمتين أو أكثر، مما يساهم في بناء جمل أو أقوال لغوية وتسلسلها، فكل رابط لغوي له دور فعّال يؤديه ليسهم في اكتساب الخطاب طابعه الحجاجي، وتحمل الروابط الحجاجية في ذاتها بعدا حجاجيا، فإذا دخلت في كلام ما فإنّ وظيفتها تكون زيادة في القوة الإنجازية الحجاجية للكلام، حيث إنّ الروابط اللغوية الحجاجية تقيم علاقة بين الحجة والنتيجة، فتولي الأهمية للكلام الذي يأتي

[1] . أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص14.

بعدها والذي يمثل نتيجة، وبه يكون توجيه انتباه المتلقي لقيمة الكلام، وعليه، فإنّ الروابط الحجاجية لها وظيفة في التأثير وجعل المتلقي يتفاعل مع الرسالة. والروابط الحجاجية كما يحددها أبوبكر العزاوي «تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما أن، إذ...إلخ»[1]، حيث إنّ هذه الروابط تصل بين قولين باعتبارهما حجتين، بالتالي كلاهما يحمل وظيفة معينة داخل الخطاب.

ويميّز العزاوي بين أنماط عديدة من الروابط:

أ_ الروابط المدرجة لحجج (حتى، بل، لكن، مع، ذلك، لأن...) والروابط المدرجة للنتائج: (إذن، لهذا وبالتالي..)

ب_ الروابط التي تدرج حججا قوية (حتى، بل، لكن، مع ذلك...)، وروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

ج_ روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك...) وروابط التساوق الحجاجي (حتى، لاسيما...)[2]، صنف ديكرو هذه الروابط بحسب درجة القوة التي تؤديها في تغيير نتيجة الكلام.

2 . نوع الروابط الحجاجية في سورة آل عمران:

2 . 1 . الرابط (حتى):

إنّ الحجج المربوطة برابط حتى «ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، Classe argumentative، أي أنها تخدم نتيجة واحدة، ثم إنّ الحجة التي ترد بعد (حتى) هي الأقوى»[3]، يتبين أنّ الرابط (حتى) أثناء دخوله في الكلام يقوي الحجة ويجعل الحجة الواقعة بعده أقوى من التي سبقته، فهذا الرابط يقود بالحجج إلى نتيجة واحدة، والتي تعتبر هي الغاية

[1] . أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.

[2] . المرجع نفسه، ص30.

[3] . أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 73.

منه وهذا ما ذهب إليه العزاوي بفوله «وتعبر (حتى) عن الغاية حتى عندما تستعمل في سياقات زمانية ومكانية»[1]، فالرابط (حتى) يسعى دوما إلى التعبير عن الغاية زمانية أو مكانية.

فقد مثّل أبو بكر العزاوي لتوضيح هذه الفكرة بما يلي:

1_سلام هي **حتى** مطلع الفجر

2_سأذهب **حتى** أكادير

فالرابط الحجاجي (حتى) يهدف في المثال الأول إلى غاية زمانية أي بيان فترة طلوع الفجر، بينما يهدف الرابط اللغوي في المثال الثاني إلى غاية مكانية أي اسم مكان موجود في المغرب.

وقد ورد الرابط الحجاجي(حتى) في سورة آل عمران، في عدة آيات، نذكر بعض النماذج للتحليل فيما يلي:

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُواْ اَلْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[2].

لن تنالوا البرّ بمعنى الطاعة، التقوى، الخير، ونجد في التفسير «لن تكونوا أبرارا، **(حتى** تنفقوا مما تحبون) أي: من أحب أموالكم إليكم، أنّ المراد منه أداء الزكاة، لن تنالوا البر أي شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وأنتم أصحاء أشحاء. (وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) أي يعلمه ويجازي به»[3].

---

[1] . أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 74.

[2] . سورة آل عمران، الآية 92.

[3] . عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، مختصر تفسير البغوي، دار السلام للنشر والتوزيع، ط1، الرياض السعودية، 1995، ص138.

ففي هذه الآية الكريمة نجد الرابط الحجاجي(**حتى**) يربط بين حجتين، وهما الحجة الأولى: (لن تنالوا البرّ) ربط الله سبحانه وتعالى طاعته وتقواه بالحجة الثانية: (**حتى** تنفقوا مما يحبون)، المتمثلة في الزكاة، فوجود الرابط اللغوي (حتى) زاد قوة في الحجة الثانية، فهي ساهمت في خلق التفاعل والتأثير على المتلقي، مما يجعله يتدبر في معنى المقصود من الآية، فيسعى إلى استكشاف الغاية منها، وبالتالي الحجتان تهدفان إلى نتيجة واحدة وهي أنّ نيل طاعة الله وتقواه يستلزم أداء الزكاة.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِه حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَآ أَرِيكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَمِنكُم مّنْ يُرِيدُ الآخرة ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى اَلْمُومِنِينَ﴾[1].

نجد معنى الآية في التفسير«فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم، لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحد خلف ظهره ، واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل، وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم، والباقون يضربون بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم أي يقتلونهم قتلا ذريعا»[2].

ففي هذه الآية نجد الرابط الحجاجي (**حتى**) يربط بين الحجتين، فالأولى تتمثل في: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِه) بمعنى وعدهم الله بالنصر بشرط الصبر والتقوى، أما الحجج الواقعة بعد الرابط (حتى) وهي (إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مّن بَعْدِ مَآ أَرِيكُم مَّا تُحِبُّون، مِنكُم مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَمِنكُم مّنْ يُرِيدُ الآخرة ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ)،

[1] . سورة آل عمران، الآية 152.

[2] . الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1986، ص426_427.

فالرابط الحجاجي (حتى) زاد في قوة الحجج التي بعده، ففي غزوة أحد خطط النبي عليه السلام وأمر المسلمون بالالتزام بالخطة، لكنهم لم يأخذوا بما أوصوا به، وانشغلوا بجمع الغنائم التي كانت سببا لعصيان أوامر النبي، ممّا جعل المشركين يقومون بتنفيذ خطتهم البديلة، وهذا ما أدى بالمسلمين إلى خسارة، فاعتبروها ابتلاء من الله فالبرغم من عصيانهم إلى أنّهم نالوا العفو والغفران من الله وهي الغاية من الحجة الأولي والحجج الواردة بعد الرابط (حتى).

النموذج الثالث:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِى مَنْ رُّسُلِهِ مَنْ يّشَآءُ فَأَمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1].

نجد الرابط الحجاجي (حتى) يربط بين حجتين وتتمثل الحجة الأولى: (ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه) يعنى أنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما في صدور الناس وما تحمل نفوسهم من خفايا، ولم يبين لهم على ما هم عليه، والحجة الثانية الواقعة بعد الرابط **(حتى)** وهي (يميز الخبيث من الطيب) أي أنّ الله يعلم المؤمن من المنافق، وليميزهم أوجد سببا يتمثّل في غزوة أحد إعلانا لكفرهم المستتر، من خلال أدعائهم أعذار تمنعهم من المشاركة في الغزوة. فالحجتان تشتركان في غاية واحدة وهي: رفضهم المشاركة في غزوة أحد دليل على نفاقهم (النتيجة).

النموذج الرابع:

قوله تعالى: ﴿الذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُومِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يأتينا بِقُرْبَانٍ تأكلُه النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

[1] . سورة آل عمران، الآية 179.

[2] . المصدر نفسه، الآية 183.

نزلت هذه الآية على اليهود الذين يجادلون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في إنكار نبوته، ولا يؤمنون به حتى يثبت حجتهم المتمثلة في إتيان قربان كدليل، يتضح في هذه الآية الرابط الحجاجي **(حتى)** أنّه يؤدي دورا في تحديد الوظيفة الحجاجية، فقد ربط بين الحجة الأولى (الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألاّ نؤمن لرسول)، وهي ردت في تفسير «يا محمد تزعم أن الله بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك الكتاب وأنّ الله تعالى قد عهد إلينا في التوراة ألا نؤمن لرسول»[1]، فاليهود يجادلون محمد بعدم اعترافهم به كنبي ورسول، والحجة الثانية (يأتينا بقربان تأكله النار) أي يأتيهم بحجة وهي قربان تأكله النيران كدليل على صدقه لهم، علما أنّ الله سبحانه وتعالى حرم عليهم القربان إلا أنّهم جعلوها وسيلة لإثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام. والغاية من الحجتين السابقتين هي بيان كفر وطغيان اليهود على طاعة الله وإنكارهم نبوة محمد.

2 . 2 . الرابط (لكن):

يُعد الرابط (لكن) من الروابط التي تستعمل للتعارض الحجاجي، يرى ديكرو أنّ الرابط الحجاجي(Mais لكن) يوضح «علاقة القوة الحجاجية ويوضح أيضا مفهوما جديدا هو مفهوم التناقض الحجاجي. وتفترض هذه العلاقة أنّه إذا كانت حجّة (ق) تنتمي إلى قسم حجاجيّ تحدده النتيجة (ن)، فإنّه توجد حجّة أخرى (ق’) تنتمي إلى قسم حجاجي آخر تحدده النتيجة المناقضة (لا ن) وحين ينتمي قولان (ق وق’) إلى القسم الحجاجي نفسه فإنّنا نقول إنّ لهما الوجهة الحجاجية نفسها أو يشتركان فيها، وبالعكس فإنّه إذا ما انتمى (ق وق’) كلاهما إلى قسمين حجاجيين متناقضين نقول إنّ لهما توجيها حجاجيا متناقضا»[2]،

[1] . عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، ص159.

[2] . جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص301.

فالرابط الحجاجي (لكن) يربط بين قولين (حجتين) متناقضين لكل منهما غاية مناقضة للأخرى.

ويشير أبو بكر العزاوي إلى أنّ هذه الأداة بنوعيها الحجاجية والإبطالية تعبر دائما عن معنى التعارض والتنافي بين ما قبلها وما بعدها، وهذا ما أكده جل النحاة العرب القدامى فيقول الزمخشري مثلا في ذلك: «(لكن) للاستدراك توسطها بين كلامين متغايرين نفيا وإيجابا فتستدرك النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي وذلك قولك(ما جاءني زيد لكن عمرا جاءني) و(جاءني زيد لكن عمرا لم يجيء)»[1]، فالرابط (لكن) تفيد الاستدراك، أي أنّها تنسب لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها، بمعنى أنّهما متناقضين.

ولتوضيح أكثر نأخذ بعض النماذج في سورة آل عمران لتحليلها.

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِنَ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

في هذه الآية الكريمة الله سبحانه وتعالى قدم حجة (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا) تمّ النفي بواسطة أداتي النفي (ما وَ لا) عن سيدنا إبراهيم اليهودية والنصرانية المزيفة التي يدّعيها الكفار لإبراهيم، ويثبت في الحجة الثانية الواقعة بعد الرابط **(لكن)** المتمثلة في: (لكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) أنّ إبراهيم عليه السلام أمره أنْ يكون مسلما، «وأنّه كان حنيفا، وأنّ الإسلام الذي جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء به إبراهيم»[3].

فلو حذفنا الرابط الحجاجي (لكن) من الحجتين (ما كان إبراهيم يهوديا أو نصرانيا وكان حنيفا مسلما) فلا يكتمل المعنى وتنقص من درجة قوة الحجتين، وبالتالي الرابط (لكن)

[1] . أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 60.

[2] . سورة آل عمران، الآية 67.

[3] . محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، د ط، ج3، دار التونسية، تونس، 1984، ص275.

باستدراك الكلام الذي يسبقها، ولكل حجة من الحجتين نتيجة مخالفة عن الأخرى، فالحجة الأولى هي براءة إبراهيم مما يدّعيه المشركون، ونتيجة الحجة الثانية المناقضة للحجة الأولى إثبات توحيد وإسلام إبراهيم عليه السلام.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أن يُؤتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْنُّبُوَءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ اَلْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[1].

يدور الحوار في هذه الآية في تفسير الشيرازي بين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبين أبو رافع القرظي والسيد النجراني قالا: «يامحمد أتريد أن نعبدك ونتخذك رباّ، فقال: معاذ الله أن نعبد غير الله وأن نأمر بعبادة غير الله، فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني»[2]، فهذا الكلام الذي وُجه لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ما جعله يرد عليهما بحجة أولى تتمثل في:(ما كان لبشر أنْ يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) والتي تفيد نفي العبودية لأي بشر من بني أدم من غير الله وإنْ كان نبيا ورسولا، علمه الله الحكمة والنبوة والمعتصم من الخطأ ثم يدعو الناس ليُعبدوه، فهذه الحجة لها نتيجة وهي التوحيد والعبودية لله فقط، وتأتي الحجة الثانية الواقعة بعد رابط **(لكن)**، والتي تعد أقوى حجة من الأولى وهي: (ولكن كونوا ربانين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) فالرسول، من خلال هذه الحجة، يأمروهم لأن يكونوا حكماء وعلماء وأهل عبادة وتقوى في تعلم وتعليم من كتاب الله، والنتيجة الضمنية للحجة الثانية هي الاعتراف والتصديق بالأنبياء وبما جاؤوا به، فهنا نجد نتيجة الحجة الأولى متناقضة لنتيجة الحجة الثانية لوجود رابط الحجاجي(لكن) الذي أفاد الاستدراك.

---

[1] . سورة آل عمران، الآية 79.

[2] . ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1997، ج2، ص25.

النموذج الثالث:

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ اَلْحَيَاْةِ اَلْدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أصابت حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

شبه الله إنفاق الكفار لأموالهم في الحياة الدنيا فيما يكره الله من لهو وكسب حرام، كالريح الباردة التي تصب الحرث فيكون إنتاجه غير صالح، أنزل الله هذه الآية: (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله)، فهي الحجة الأولى التي تبين أنّ الكفار يعصون الله، يكسبون ويبذرون أموالهم في غير مرضاة الله، فتضيع أموالهم بسبب ذنوبهم، فنُفي ظلم الله لهم، بل نالوا جزاء أفعالهم، تهدف إلى نتيجة وهي عدالة الله عز وجل، أمّا الحجة الثانية الواقعة بعد الرابط الحجاجي (لكن أنفسهم يظلمون) التي تفيد الاستدراك فهي حجة أقوى وأعلى درجة في تأثير على السامع مقارنة بالأولى، حيث ثبت أنّ الكفار نالوا جزاءهم مما ارتكبوه، وتتمثل نتيجة الحجة الثانية في كفر وطغيان الناس.

2 . 3 . الرابط (بل):

يذهب أبو بكر العزاوي إلى أنّ الرابط بل «يستعمل للإبطال والحجاج، مثله مثل "لكن" وله حالان: الأول: أن يقع بعده مفرد. الثاني: أن يقع بعده جملة»[2]، وما يلفت الانتباه في كلام العزاوي أنّ هذا الرابط له بعد حجاجي، بمعنى أنّ لهذا الرابط دور فعّال، حيث يستعمله المرسل في طرح الحجج، ويقوم هذا الرابط بتقوية الحجج التي تأتي بعده ويجعلها ذات درجة في التأثير على المتلقي، ويسهم في الوصول إلى نتيجة صادقة فهي إذن تبين ضعف الحجج السابقة لهذا الرابط. كما أشار العزاوي أنّ الرابط (لكن) و(بل) لقيا اهتماما كبيرا لدى

[1] . سورة آل عمران، الآية 117.

[2] . أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص60_ 61.

ديكرو وأنسكومبر، حيث يقول إنّ الرابط (بل) «يربط دائما بين حجتين تخدمان نتيجتين متضادتين، ولكن الحجة الواقعة بعد الرابط هي الحجة الأقوى، والنتيجة المضادة (لا ن) هي النتيجة المعتمدة»[1]، بمعنى أنّ الحجة الواقعة بعد الرابط (بل) هي التي تحدد النتيجة الحقيقة والصادقة لمضمون الحجج التي قيلت، كما ميز ديكرو وأنسكومبر في دراساتهما لأداة "Mais" «بين الاستعمال الحجاجي والاستعمال الإبطالي، وإذا كانت اللغة الفرنسية تشمل على أداة واحدة تستخدم للحجاج والإبطال، فإن لغات أخرى تتوفر على أداتين: أداة للحجاج وأداة للإبطال ويمكن أن نذكر هذه اللغات، اللغة الإسبانية والألمانية والعبرية والعربية، لكن اللغة العربية، وإن كانت تلتقي مع الاسبانية والألمانية في توفرها على الأداتين، فإنّها تختلف عنهما (وتلتقي في هذا مع الفرنسية) في أنّ كل أداة، أي أنّ كلا من "بل" و"لكن" يستعمل للحجاج والإبطال»[2]، نستنتج من هذا القول أن الرابط (بل) مرادف لرابط (لكن) لاشتراكهما في بطلان ما سبق من كلام وإثباته ما بعده وجعله هو الحقيقة الصحيحة. فالرابط (بل) يقدم حججا أقوى وأشمل من التي سبقها ويبيّن كذلك ضعف الحجج الأولى أمام الحجج الثانية.

وقد ورد الرابط (بل) في سورة آل عمران في آيات كثيرا وتأتي دائما بعده جملة، يقول المرادي في كتابه: (الجنى الداني في حروف المعاني) إذا وقع بعد (بل) جملة «فإن وقع بعدع جملة كان إضرابا عما قبلها، أما على جهة الإبطال نحو: أم يقولون به جنة، بل جاءهم بالحق، وإما على جهة الترك للانتقال من غير إبطال نحو: ولدينا كتاب ينطق بالحق، وهم لا يظلمون بل في قلوبهم غمرة»[3]، فمن خلال الأمثلة التي طرحها المرادي يتضح أن إذا وردت بعد الرابط (بل) جملة فإنها تفيد إبطال الحكم السابق (الحكم الذي قبله)

[1] . أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص63_ 64.

[2] . المرجع نفسه، ص57.

[3] أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي، الجنى الداني في المعاني، ت: فخر الدين قباوة _ الأستاذ محمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان 1992، ص235.

وأن ما بعد الرابط هو الحكم الصادق. أما الانتقال فيأتي لترك الحكم السابق كما هو والانتقال إلى الحديث عن شيء يحمل غرض معين دون الوقوع في الإبطال.

وفي ما يلي بعض النماذج من سورة آل عمران لتحليل وتوضيح الوظيفة الحجاجية للرابط (بل):

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسِبَنَّ الذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهَ أَمْوَاتًا بَلِ أَحْيَاْءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

تتحدث هذه الآية عن المؤمنين الذين جهدوا في سبيل الله وكان نتيجة جهادهم الموت، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية حجة (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) للتخفيف عن القلوب ونجد فيها نفي الموت عن المجاهدين، والمعنى لا تظنوا الذين جاهدوا وقتلوا في سبيل الله أمواتا، و**نتيجة** هذه الحجة هي أنّ من ماتوا في سبيل الله قد فارقوا الحياة الدنيا أي الفناء في الدنيا، لكن سرعان ما يُزال النفي ويصبح إثبات وهذا ما تؤكده الحجة الثانية الواقعة بعد رابط حجاجي (بل) المتمثلة في (بل أحياء عند ربهم يرزقون) فهذه الحجة توضح الإضراب عن الحجة الأولى التي تثبت صفة الموت في الحياة الدنيا وجاءت الحجة الثانية لتبطل الحجة الأولى، فالرابط (بل) عقد علاقة بين الحجتين وأعطى لثانية الأولوية والقوة الحجاجية، وتنقلب النتيجة مضادة للنتيجة الأولى هي الخلود في الجنة.

وسنوضحها في التمثيل الأتي:

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسِبْنَّ الذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا أَتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2]

[1] . سورة آل عمران، الآية 169.

[2] . المصدر نفسه، الآية 180..

تتحدث الآية الكريمة عن الذين يرفضون إخراج الزكاة، ويعملون على إحراز أموالهم، ولهذا أنزلها الله لتذكيرهم، فبدأ سبحانه وتعالى كلامه بالنهي كحجة أولى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) وتحتوي هذه الحجة على نتيجة وهي البخل وجمع الأموال باعتبارها منفعة لهم، وتأتي الحجة الثانية التي استمدت قوتها من خلال ربطها برابط حجاجي (بل) (**بل** هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير)، وتتضمن هذه الحجة نتيجة تتمثّل في أنّ جمع المال وعدم إنفاقه هو شرٌ لهم ويعاقبون عليها يوم القيامة، وهذا ما جاء في تفسير الزمخشري: «سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السماوات والأرض أي وله ما فيها مما يتوارثه أهلها من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله»[1]، فالرابط (بل) في هذه الآية جاء للإضراب ويفيد إبطال الحجة الأولى وإثبات الثانية، وتتمثل نتيجة الحجة الثانية أنّ كل من يجمع المال سيعاقبه ويجزيه الله تعالى على قدر استحقاقه، فهو الباقي بعد فناء جميع خلقه.

ثانيا ـ السلالم الحجاجية:

يذهب ديكرو إلى أنّه «حين توجّه علاقة ترتيب، أو قوة [العناصر الموجودة داخل] قسم حجاجي نقول إنّ الحُجَج تنتمي إلى سلّم حجاجي واحد»[2]، فالسلم الحجاجي بهذا المعنى هو قسم حجاجي موجه، فما المقصود بالقسم الحجاجي؟

1 ـ القسم الحجاجي: اهتم ديكرو بالقسم الحجاجي لكونه مصطلحا مركزيا وعنصرا أساسيا في نظرية السلالم الحجاجية، حيث يعرفه قائلا: «إنّ المتكلم، في وضعية خطاب محددة، يمكن أن يضع ملفوظين في قسم حجاجي واحد يفضي إلى نتيجة "ن" بشرط أن

[1] . الزمخشري، الكشاف عن الحقائق غوامض التنزيل، ج1، ص446.

[2] - جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص298.

يكون الملفوظان يقودان ويخدمان نفس النتيجة "ن"»[1]، فالقسم الحجاجي بهذا المفهوم عبارة عن سلسلة من الملفوظات، مثلا (ق) و (ق') إذا كان المتكلم يعتبرهما بمثابة حجج لـ(ن) فإنّهما تنتميان إلى قسم حجاجي واحد يحدده قول (ن). لذلك يرى ديكرو أنّ الحجج التي تنتمي إلى قسم حجاجي نفسه، تنتظم في علاقة ترتيب، «إذ بعض الحجج هي أقوى من بعض وبعضها أضعف من بعض، ليكن القولان (ق) و(ق') منتميين إلى قسم حجاجي واحد، سنقول عن(ق') إنّ المتكلم قدمه على أنّه حجّة أقوى من (ق) إذا كانت النتيجة ر المستخلصة من (ق) تستلزم النتيجة ر المستخلصة من (ق') تستلزم النتيجة والمستخلصة من (ق') ولا يصحّ»[2]. كما يمكن لقول واحد أن يقودنا إلى قول أخر هذا الأخير يحمل نتيجة، وهذا ما يرها ديكرو في تعريفه للحجاج: «أن العملية الحجاجية تتلخص لغويا في أن يقدم المتكلم قولا أو مجموعة أقوال هي (ق1) يقود إلى (ق2) هو بمثابة النتيجة»[3]، فالضرورة والمنطق يفرضان ترتيب الحجج ترتيبا معينا، فتنتظم تلك الحجج وتتضافر من أجر التأثير على المتلقي من أجل التسليم بالنتيجة.

2 . السلم الحجاجي: وهو أهم عنصر في نظرية الحجاج عند ديكرو حيث يقوم على تصنيف الأقوال أو الحجج بحسب درجة قوة التأثير على المتلقى، يقوم السلم بإدراج الحجج بأفق عمودي، يعرفه ديكرو على أنه: «علاقة ترتيبية للحجج»[4]، يعني هذا ربط علاقة الأقوال مرتبة بحسب درجة القوة، **ف**«حين توجه علاقة ترتيب أو قوة العناصر الموجودة في القسم الحجاجي سنقول إنّ الحجج تنتمي إلى سلم حجاجي واحد، فالسّلم الحجاجي هو إذن قسم حجاجي موجه»[5]

---

[1] . عز الدين النّاجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ط1، دار نهى، صفاقس تونس،2011، ص130.

[2] . جاك موشلر– آن ريبول، القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، ص298

[3] . المرجع نفسه، ص130

[4] . أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص20.

[5] . جاك موشلر وآن ريبول، المصدر نفسه، ص298.

ويتمثل رسم ديكروا لهذا السلم كما يلي:

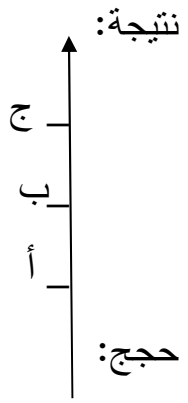

(أ) و(ب) و(ج): حجج وأدلة تخدم نتيجة

نقدم مثال في الواقع:

حصل أحمد على شهادة الليسانس.

حصل أحمد على شهادة الماستر.

حصل أحمد على شهادة الدكتوراه.

فكلما قدمنا حجة أقوي عن الأخرى فسندرجها في أعلى السلم الحجاجي.

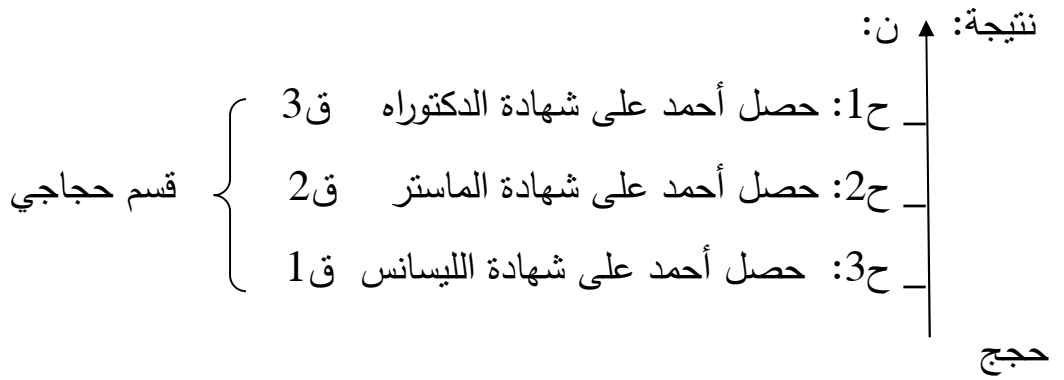

كل من (ق1) و(ق2) و(ق3) حجج تتدرج قوتها كلما كانت في أعلى السلم وهذه القوة تسعى لأن تكون نتيجة التي تدفع المتلقى إلى الإقناع والتسليم.

3 ـ قوانين السلم الحجاجي: عدّ ديكروا ثلاث قوانين للسلم الحجاجي وهي:

أ . قانون النفي: «إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل المتكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه (أي: أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة»[1]، بمعنى أن القول (أ) الذي يحمل نتيجة معينة، والقول (ب) يكون مضاد وينفي قول (أ) ويكون نتيجة معاكسة لنتيجة (أ) فالقولان لا يخدمان نتيجة واحدة. ومثال عن هذا:

عمر مجتهد، سينجح في البكالوريا.

عمر ليس مجتهدا، إذن لن ينجح في البكالوريا ←——— نفي القول الأول والنتيجة كذلك.

ب . قانون القلب: «إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة»[2]، بمعنى أن الحجة الثانية المقدمة تكون أعلى درجة من الحجة الثانية وهي التي تقود بنتيجة صادقة مقارنة بالحجة الأولى.

ومثال على هذا:

حصل عمر على شهادة الليسانس، حتى على شهادة الماستر.

ج . قانون الخفض: «إذا كان القول أو الخطاب معلما (marqué) أي مشتملا على بعض الروابط والعوامل الحجاجية فإنّ هذا الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب، أما في حالة كون القول غير معلم، فإن التعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي تستنتج إذاك من الألفاظ والمفردات بالإضافة إلى السياق التداولي والخطابي العام»[3]، يعني أن القول الذي يكون مصحوبا بالروابط اللغوية فإنّ الأخيرة هي التي تساهم في بناء العلاقات بين الحجج، أما إذا

---

[1] . أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص22.

[2] . المرجع نفسه، الصفحة نفسه.

[3] . المرجع نفسه، ص25.

كان القول غير معلما فيه غموض فإن النتيجة تستخلص من خلال السياق التداولي وإعمال التفكير العميق لاستنتاج مضمونه.

4 . وسائل السلم الحجاجي: «يتحقق الحجاج بالسلم الحجاجي باستعمال أدوات لغوية، وآليات شبه منطقية كالتالي: الأدوات اللغوية، كالروابط اللغوية، مثل (بل، لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا، فحسب، بل) السمات الدلالية ودرجات التوكيد»[1]، فالآليات اللغوية هي التي تقوم بعقد العلاقات بين الملفوظات والأقوال وبها يتم تحديد والوصول إلى النتيجة الصادقة، ومن بين هذه الوسائل الروابط والعوامل اللغوية، حيث «إنّ وظائف الروابط الحجاجية لا تنحصر في الربط النسقي على المستوى الأفقي، بل تتجاوز ذلك إلى ترتيب العمودي»[2].

والآن نعود إلى الروابط الحجاجية التي تمّ تحليلها في العنصر السابق من أجل تمثيلها بالسلم الحجاجي، ويكون ذلك كما يلي:

- **حتى:**

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[3].

ح1: لن تنالوا البر

ح2: تنفقوا مما تُحبون

[1] . عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص507_508.

[2] . المرجع نفسه، ص.473

[3] . سورة آل عمران، الآية 92.

النتيجة ن: لنيل طاعة الله وتقواه يستلزم أداء الزكاة.

الحجج ح2: **حتى** تنفقوا مما يحبون

الحجج ح1: لن تنالوا البر

من خلال السلم الحجاجي نلاحظ أنّ الحجة الثانية (ح2) الواقعة بعد الرابط الحجاجي (حتى) جاءت أقوى من الحجة الأولى (ح1)، وذلك لقرب (ح2) من النتيجة (ن) وعلاقتها بها فنيل رضى الله سبحانه وتعالى أوجب الإنفاق أي الزكاة، فإذا لم ينفقوا لن ينالوا رضاه، والحجتان السابقتان غير متعارضتين بل تكملان بعضهما البعض، لكن (ح2) هي الأقوى لذا حددت في أعلى السلّم.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِه حَتّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مّن بَعْدِ مَآ أَرِيكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَمِنكُم مّنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى المُؤمِنِينَ﴾[1].

ح1: ولقد صدقكم الله وعده

ح2: **حتى** إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ

ح3: وَعَصَيْتُم مّن بَعْدِ مَا أَرِيكُم مَّا تُحِبُّونَ

ح4: مِنكُم مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيا

[1] . سورة آل عمران، الآية، 152.

ح5: وَمِنكُم مّنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ

النتيجة: بالرغم من عصيانهم إلا أنّهم نالوا العفو والغفران من الله.

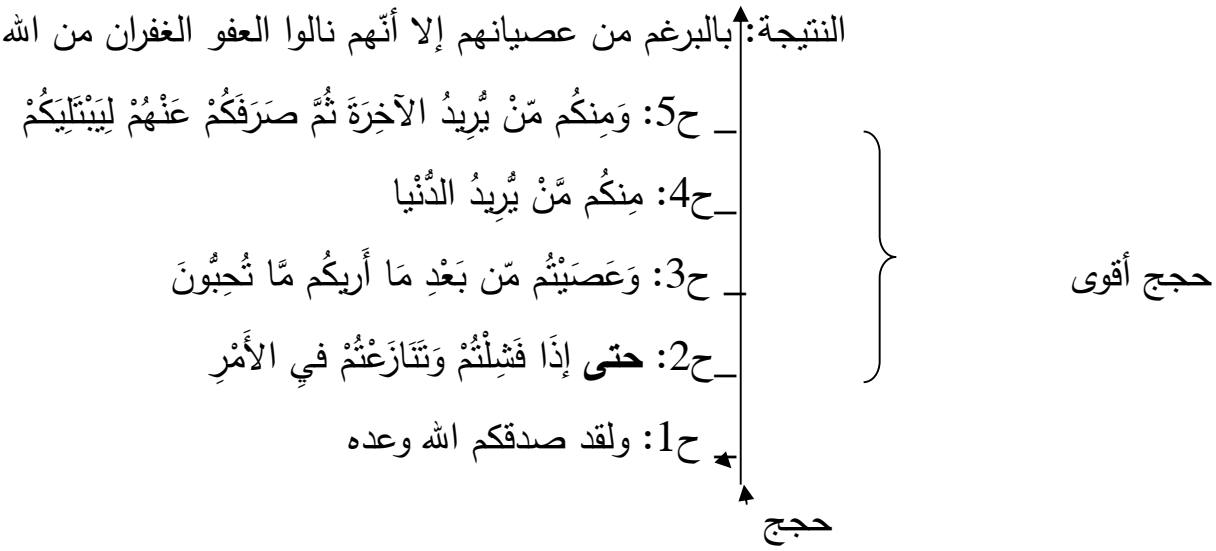

جاءت الحجة(ح2) في أعلى السلم الحجاجي، على عكس (ح1) التي أدرجت تحت (ح2)، وذلك لأنّ هذه الأخيرة قريبة من (ن)، فالله قد أوفى بوعده (ح1) وإنْ عصوا أمره إلا أنهم فشلوا ....(ح2) ومع ذلك نالوا عفو الله، فالحجتان السابقتان تقودان إلى نتيجة واحدة، لكن (ح2) هي الأقوى ولذلك أدرجت في أعلى السلم.

- **لكن:**

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِنَ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

[1] . سورة آل عمران، الآية 67.

يمكن توضيح ذلك بالرسم البياني على نحو أبي بكر العزواي:

. نتيجة الحجة: كان حنيفا مسلما . نتيجة مضادة: ما كان إبراهيم يهوديا ولا وما كان من المشركين نصرانيا

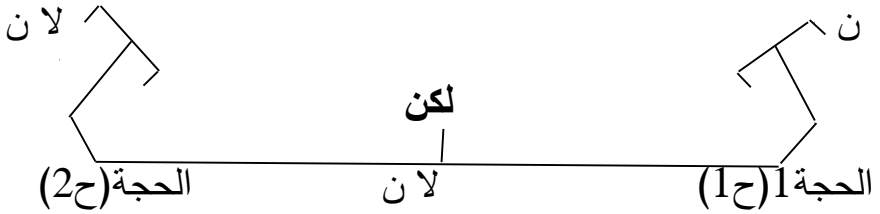

كما يمكن أن ندرج هذه الحجج في السلم الحجاجي لديكرو::

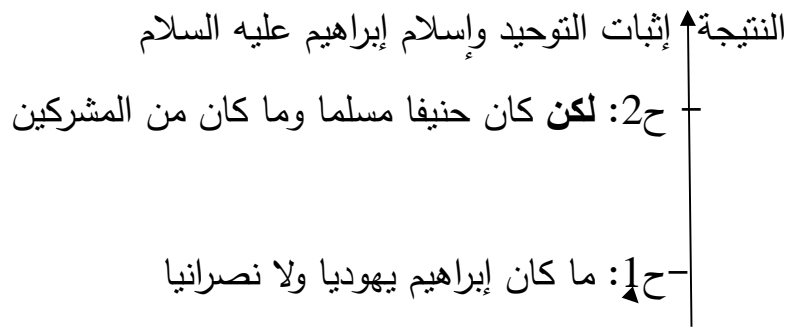

نلاحظ أنّ الحجة(ح2) هي أقوى من الحجة (ح1)، وذلك لقرب (ح2) من (ن) فإبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بل كان على دين الإسلام، والحجتان السابقتان متناقضتان، لكن (ح2) هي الأقوى وهي التي تقود إلى النتيجة النهائية، لذلك حددت في أعلى السلم.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَكِنَ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ اَلْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[1].

[1] . سورة آل عمران، الآية 79.

يمكن أن نوضحها بهذا الشكل:

ن: نفي العبودية لأي بشري لا ن: عبادة غير الله

من بنى أدم من غير الله

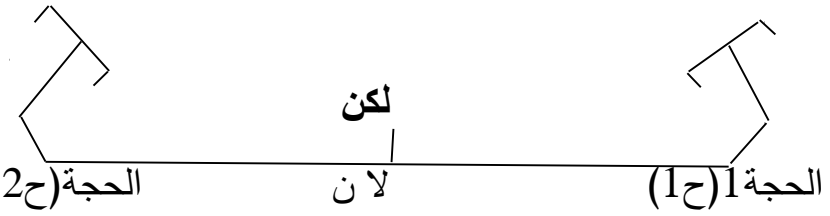

ما كان لبشر أنْ يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله

كونوا ربانين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون

النتيجة إثبات العبودية لله

حجج

ـ ح2 **لكن** ربانين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون

ـ ح1 ما كان لبشر أن يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله

يتضح أنّ (ح2) جاءت أقوى من (ح1) لقربها من (ن) وعلاقتها بها، فالله سبحانه وتعالى نفى العبودية لأي بشر ولو كانوا أنبياءه ورسله، فالحجتان متعارضتان، لكن نجد الحجة الثانية أقوى لهذا أدرجت في أعلى السلم.

*** الرابط (بل)**

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسِبَنَّ الذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهَ أَمْوَاتًا بَلِ أَحْيَاْءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

يمكن إظهار أعلى درجة الحجة الواقعة بعد الرابط (بل) في السلم الحجاجي.

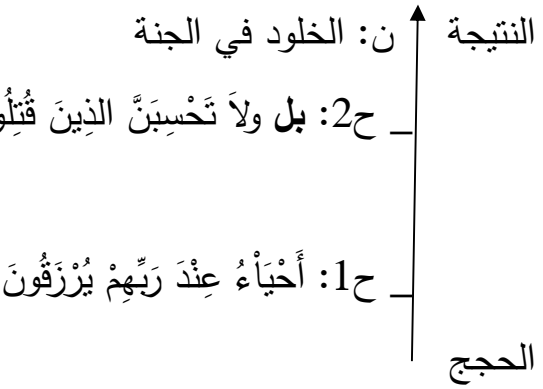

من خلال هذا السلم يظهر لنا أنّ الحجة الثانية (ح2) أقوى من (ح1) لأنّ الرابط (بل) قام بنفي الحجة (ح1) وإثبات الحجة(ح2)، فهو الذي يوصل إلى نتيجة نهائية وهي الخلود في الجنّة.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسِبْنَّ الذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا أَتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2]

السلم الحجاجي:

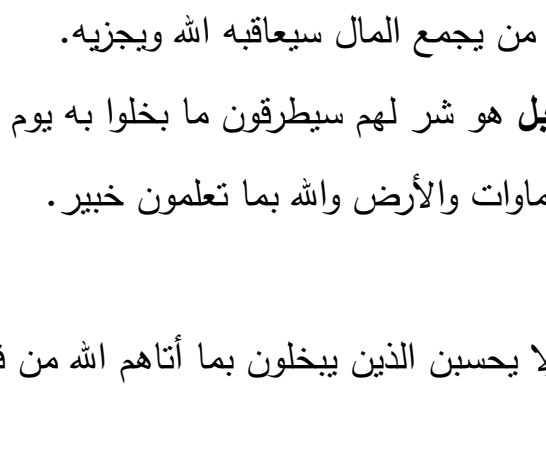

[1] . سورة آل عمران، الآية 169.

[2] . سورة آل عمران، الآية 180.

الحجج

يتضح من خلال هذا السلم أنّ (ح2) أقوى من (ح1) لموالتها للنتيجة (ن) حيث إنّ الله سبحانه وتعالى ينهى عباده عن جمع أموالهم دون إنفاقها فيما يرضى الله، وبالتالي، فإنّ الحجتين متناقضتين والحجة الثانية أقوى.

يُستخلص ممّا سبق أنّ الحجاج اللّغوي يعتمد على روابط حجاجية تساهم في ربط العلاقات بين الحجة والنتيجة، والنتيجة التي تلي الرابط الحجاجي هي الحجة الأقوى.

ثالثا . العوامل الحجاجية في سورة آل عمران:

يقوم العامل الحجاجي بالربط بين وحدتين دلاليتين داخل القول اللغوي الواحد، فما هو العامل الحجاجي؟

1 . **تعريف العوامل الحجاجية:** العامل الحجاجي «عبارة عن مورفيم إذا دخل في الخطاب أسهم في تقليص الإمكانات الحجاجية للكلام، وزاد من طاقته الحجاجية في التوجه نحو نتيجة حجاجية ما»[1]، فوظيفة العامل الحجاجي هو شحن الكلام ليؤدي وظيفة حجاجية تتلاءم مع مقاصد المحاجج، كما أنه يساعد المتلقي في تحديد دلالة المراد من الكلام. فالعوامل الحجاجية «لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر»[2]، إذ تقوم العوامل الحجاجية بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية، بمعنى تقلص الوقوع في التأويلات، وقد سورة آل عمرا على الكثير من هذه العوامل، بالخصوص أدوات القصر والنفي والتوكيد...إلخ، ولنّ الخطاب القرآني يحتوي مواضيع مختلفة تشمل العقيدة والعبادة

[1] ـ عايد جدوع حنون، الحجاج في كلام الإمام الحُسين، ط1، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، 2017، ص131

[2] . أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.

والمعاملات واختلاف الأديان...الخ، وقد خصصت هذه العوامل لتوجيه تركيز المتلقي عليها ليستنبط الأحكام، كما تبعده عن الوقوع في الانحراف، وللعامل الحجاجي وظائف أخرى، كالانسجام الذي يُحدثه في الكلام وما يتضمنه من المعاني الجوهرية.

2 . أنوع العوامل الحجاجية في سورة آل عمران:

2 . 1 . عاملية أدوات القصر الحجاجية: قبل التطرق إلى ذكر عاملية أدوات القصر لابد من توضيح المقصود بالقصر، فهو «تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص، ويُقال أيضا: إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه»[1]، فعوامل القصر تثبت الحكم الذي بعدها وتنفي ما قبلها.

2 . 1 . 1 . عاملية: (ما... إلاّ):

من بين عوامل السلم الحجاجي العامل (ما...إلاَّ) فهو في حد ذاته حجة، وتزيد فاعليته للحجج من أجل إنتاج قوة للتأثير والإقناع مقارنة بالحجج السابقة، كما يقوم هذا العامل الحجاجي بتقوية التوجه نحو النتيجة، ويحتوى هذا العامل على أداتين لغويتين، هما أداة (ما) وأداة (إلاّ) ويفيد الرابط (ما) النفي، هذه العوامل الحجاجية تقوم بحصر واستثناء كلام مهم في موضع معيّن، وهذا الأخير عبارة عن مكان مخصص للكلام، ففي كل كلام يحتل الملفوظ موضعا معين ويربط علاقة مع أجزاء الكلام، مما يساهم في اتساقه، والموضع خاضع لقوة العامل لكي يجعله واضحا، ولهذا يقول أحد الباحثين: «ومن التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجيّة، ذلك التركيب الذي يتضمن الأداتين (ما...إلاّ) في ترتيب الحجج في سلم واحد، إذ إنّ (ما...إلاّ) عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه»[2]،

[1] ـ عايد جدوع حنون، المرجع نفسه، ص133.

[2] . عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية لغوية، ص519_520.

فأسلوب القصر (ما...إلاّ) يقوم بحصر الكلام وهذا الأخير «يضيف قوة حجاجية تزيد من طاقته في توجيهه نحو النتيجة»[1]، أي أنّ العامل (ما...إلاّ) يشحن طاقته الحجاجية في الكلام المحصور ويقوم بتوجيهه إلى نتيجة.

وفي ما يلي نحلل بعض النماذج من سورة آل عمران والتي ورد فيها العامل الحجاجي السابق.

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

نجد أنّ الآيات [من 59_إلى 61] من ..سورة آل عمران تتحدث عن إخبار الله سبحانه وتعالى نبيه محمد عن سيدنا عيسى عليه السلام بأنّه عبدهُ، خلقه من غير أب مثلما خلق سيدنا أدم عليه السلام من دون أب وأم، بل خلقه من تراب ونفخ من روحه، فهذه الآيات عبارة عن تقديم الحجج لنبي محمد من عند ربه، وتؤكد هذه الحجج باستعمال أداة (إنّ) المتمثلة في (إنّ هذا لهو القصص الحق) بمعنى أن الله يتلو قصص حقيقية وليس كما يدعي الكفار.

نجد في هذه الآية حجة (**ما** من إله **إلاّ** الله) محصورة بعامل حجاجي (ما...إلاّ) الذي زاد من القيمة الحجاجية لهذه الحجة، وحدد النتيجة الملائمة، فلو نحذف العامل الحجاجي فسنجد أنفسنا أمام إمكانات حجاجية أخرى؛ كتعدد وجود الآلهة أو عدم وجود إله أو آلهة، والنتيجة المستخلصة هي نفي وإبطال وجود أي إله في هذا الكون غير الله، والنتيجة المعاكسة لها هي عدم وجود الله، فبوجود العامل الحجاجي (ما...إلاّ) في القول تقلصت الإمكانات

[1] . عايد جدوع حنون، العوامل الحجاجية في آيات الإحكام، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، المجلد التاسع، ع4، يصدرها كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، العراق، 2016، ص15.

[2] . سورة آل عمران، الآية 62.

الحجاجية المذكورة سابقا، فقد خصصت الألوهية والعبودية لله فقط، ويقوم هذا العامل هنا بالتوجيه إلى نتيجة واحدة ونهائية وهي وحدانية الله سبحانه وتعالى ذو العزة والحكمة.

ويكمن أن نوضحه بالشكل البياني كما يلي:

ما ⟵ من إله (النتيجة) ⟵ **إلاّ** ⟵ الله (الحجة)

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ الْتَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[1].

تتحدث الآية الكريمة عن طائفة اليهود والنصارى الذين يدّعون أن سيدنا إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا، فأنزلت حجة الله المتمثلة في (يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم) فهو سبحانه وتعالى يخاطب أهل الكتاب (اليهود والنصارى) عن الخصام القائم بينهم، ثم جاءت حجة (**ما** أنزلت التوراة والإنجيل **إلاّ** من بعده أفلا تعقلون) التي تتوفر على العامل الحجاجي (ما...إلاّ) الذي حصر الكلام وزاد من قيمته الحجاجية، فإذا حذفنا العامل الحجاجي فسنجد أمامنا إمكانات حجاجية كثيرة منها: اليهود يدعون إتباع ملة إبراهيم، والنصارى يدعون أنّهم على ملة إبراهيم، وبوجود العامل الحجاجي الذي لم يغير في المعنى وإنّما جسد قوته الحجاجية في هذا القول فتقلصت الإمكانات الحجاجية، وقام بتحديد وتوجيه إلى نتيجة نهائية وهي أنّ التوراة والإنجيل نزلت بعد سيدنا إبراهيم عليه السلام.

ما ⟵ أنزلت التوراة والإنجيل ⟵ إلاّ ⟵ إلا من بعده أفلا تعقلون

النموذج الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا الْنَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[2].

[1] . سورة آل عمران، الآية 67.

[2] . المصدر نفسه، الآية 126.

نجد في تفسير ابن كثير لهذه الآية (وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به) «أنزل الله الملائكة وأعلمهم بإنزالها إلاّ بشارة لكم وتطيبا لقلوبكم وتطمينا، وإلاّ فإنّما النصر من عند الله، الذي لو شاء لا تنصر من أعدائه بدونكم»[1]، ففي هذه الآية نجد حجتين محصورتين بعامل رابط (ما...إلاّ)، فنأخذ بالحجة الثانية لتحليل وهي: (**وما** النصر **إلاّ** من عند الله العزيز الحكيم) فلو حذفنا العامل الحجاجي (ما ...إلاّ) لكانت الحجة (النصر من عند الله العزيز الحكيم) فتكون إمكانات حجاجية كثيرة، وتتولد عدة نتائج لهذا القول منها: أن الله ينصر المؤمنين، الله ينصر الضعيف، الله ينصر الأمة الإسلامية، الله ينصر الأنبياء...إلخ كما يخدم النتيجة المضادة لها وهي الله لا ينصر المؤمنون، الله لا ينصر الضعفاء...إلخ، فهنا يقع المتلقي في حيرة لاستخلص النتيجة ويدخل ربما في بعض التأويلات، بينما عند توظيف العامل الحجاجي في الحجة، فإنّ ذلك لا يغير من المعنى بل يزيد من قيمة الكلام المحصور والمحدد توجيها وتنبيها للمتلقي ألا يقع في التأويلات التي سبق ذكرها وتكون النتيجة: الله هو الناصر الوحيد لبشريته.

لقد وردت عوامل حجاجية في الخطاب القرآني بكثرة شبيهة بالعامل الحجاجي (ما...إلاّ) كونها تحمل نفس الوظيفة، وقد ذهب أبو بكر العزاوي إلى أنّ «الأقوال التي تتضمن عاملا حجاجيا من نمط "ما...إلاّ" أو "لا...إلاّ"، أي التي تندرج ضمن أدوات القصر مثلا، فإنّها تكون مماثلة للأقوال المنفية من حيث السلوك الحجاجي والوجهة الحجاجية»[2]،

2 . 1 . 2 عاملية (لا ...إلاّ): وجود الأداة (لا) التي تفيد عند دخولها في الكلام النفي.

ونأخذ بعض النماذج للتحليل من أجل توضيح أن العامل (لا...إلاّ) مرادف لعامل (ما...إلاّ).

[1] . أبو فداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، ط2، ج 2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999، السعودية، ص114.

[2] . أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص49.

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُؤمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلِ إِنَّ اَلْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤتى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمُ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلِ إِنَّ اَلْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَّشَاءُ وَاللهُ واَسِعُ عَلِيمٌ﴾[1]

الحجة في هذه الآية هي (**لا** تؤمنوا **إلاّ** لمن تبع دينكم) والتي تتضمن عاملا حجاجيّا (لا...إلا) الذي حصر الكلام وزاد من قيمته الحجاجية، فلو حذفنا العامل الحجاجي يكون القول كما يلي: (وتومنوا لمن تبع دينكم ...) فنجد له إمكانات حجاجية كثيرة وتتولد عدة نتائج منها: صدقوا من كان على دينكم، صدقوا من كان مسلما، كما يخدم النتيجة المضادة لهذه الحجة المتمثلة: صدقوا الذين خرجوا وكفروا بدينكم.

بينما عند دخول العامل الحجاجي (لا...إلاّ) الذي لا يغير من معنى الحجة، بل يزيد من قيمته الحجاجية، التي قام بتوجيهها وتحديدها نظرا لأهمية القول المحصور، فهذا يجعل المتلقي يتأثر ويتفاعل معه، ويستنتج المقصد الذي يعد هو النتيجة النهائية المتمثلة في التصديق بمن تبع دين الله فقط.

وإذا استبدلنا العامل الحجاجي (ما...إلاّ) بالعامل الحجاجي (لا...إلاّ) فتكون الحجة كما يلي: (وما تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم...) مرادفة لـ (ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم).

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَاَلْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ اَلْعِلْمِ قَائِمَا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ﴾[2].

نجد في تفسير ابن كثير (أنه **لا** إله **إلاّ** هو) «أي المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأنّ الجميع عبيده وخلقه، وهو الغني عمّا سواه»[3]، يعتبر هذا القول حجة خاضعة للعامل اللغوي (لا...إلاّ)، الذي بين قيمته الحجاجية، فلو حذف هذا العامل لأصبحت الحجة (شهد الله أنه

[1] . سورة آل عمران، الآية 73.

[2] . المصدر نفسه، الآية 18.

[3] . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص24.

إله هو والملائكة...) فسنجد له إمكانات حجاجية كثيرة، فقد يخدم هذا القول نتائج عديدة منها: شهد الله أنّه هو الرب والملائكة والعلماء أي أنّهم اشتركوا ثلاثتهم في الألوهية، أن الله هو مالك السماوات والأرض، هو الذي خلق الكون والإنسان... الخ، فهذه الإمكانات الحجاجية تجعل السامع أو القارئ للخطاب القرآني يقع في تأويلات تحرف اعتقاداته، بينما إذا أدخلنا العامل اللغوي الحجاجي على القول، فإنّه يزيد من قيمة المعنى، ويقوم بتوجيه إلى نتيجة نهائية وهي أنّ الألوهية خاصة بالله فقط.

ويمكن استبدال العامل الحجاجي (لا...إلاّ) بالعامل (ما...إلاّ) فتكون الحجة (شهد الله أنه **ما** من إله **إلاّ** هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا الله العزيز الحكيم) لاشتراكهما في وظيفة الحصر والتخصيص والزيادة في القيمة الحجاجية للقول، ونستنتج أن العاملين مترادفين.

2 . 1 . 3 . عاملية (ألاّ... إلاّ) :

ألاّ: حرف مركب من (أنْ) الناصبة (ولا) النافية.

يقول ابن جني في كتابه "اللمع في العربية" إن: «معنى (لا) التحقيق للأول والنفي عن الثاني تقول قام زيد لا عمرو»[1]، يعنى هذا القول أن أداة (لا) عند دخولها في الكلام فإنها تفيد التحقيق لما قبلها، والنفي لما بعدها.

وهناك من يردها إلى أنها تتكون من أداتين: «إحداهما همزة استفهام والأخرى لا النافية»[2]، فالأداة (ألاّ) تفيد النفي، وهناك من يسميها بحرف تحضيض لما تحمله من توبيخ، إذ يرى ابن هشام أنّ (ألا) هو«حرف تحضيض مختص بالجمل الفعلية الخبرية كسائر أدوات

[1] . أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، اللمع في العربية، ت: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، 1972، ص93.
[2] . المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص384.

التحضيض»[1]، يعني أن الأداة (ألا) تدرج ضمن أدوات التحضيض، التي تعنى طلب الشيء بشدة الذي يصاحب التوبيخ والسخرية.

وفيما يلي بعض نماذج من المدونة لتحليل وبيان أن العاملين الحجاجيين (ألا...إلاّ) و(ما...إلاّ) مترادفان.

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اِشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2].

نجد في تفسير الطبري: «يعنى بذلك جل ثناؤه "قل"، يا محمد، لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل تعالوا إلى كلمة السواء، يعنى: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، وكلمة العدل»[3]، ففي هذه الآية نجد الله سبحانه وتعالى يكلف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، بإبلاغ حجته إلى أهل التوراة والإنجيل والمتمثّلة في الدعوة إلى العدل، وجاءت الحجة الثانية، وهي الأهم في الآية، وتتمثل في: (**ألاّ** نعبد **إلاّ** الله ولا نشرك به....) فوظف في هذه الحجة العامل اللغوي (ما... إلا)، ما جعلها تحمل قيمة حجاجية في الآية، فلو حذفنا العامل اللغوي الحجاجي لأصبح القول: (نعبد الله ولا نشرك به ...)، وبالتالي يتبادر إلى ذهن المتلقي مجموعة من الأفكار منها عبادة الله، عدم اتخاذ أربابا أخرى للعبادة، إتباع طريق الله ...الخ، فبمجرد إدخال العامل الحجاجي (ألاّ...إلّا) على الآية فإنّ إمكاناته الحجاجية تتقلص، فيقوم العامل الحجاجي بحصر واستثناء الجملة (نعبد) لله، التي لم يغير المعنى في الآية بل

[1] . ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط6، دار الفكر، دمشق _ سوريا، 1985، ص102.

[2] . سورة آل عمران، الآية 64.

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج6، ص483.

بوجوده زادت قيمته الحجاجية وهذا ما يلفت اهتمام المتلقي لهذا الكلام، فيتوصل إلى نتيجة الحجة والمتمثلة في العبودية لله وحدة لا شريك له.

فلو استبدلنا العامل الحجاجي (ألاّ...إلاّ) بالعامل الحجاجي (ما... إلّا) فيكون: **ما** من إله **إلاّ** الله، يتضح أنهما يقومان بنفس الوظيفة فيحصران الكلام ويزيدان في قيمته الحجاجية، وبالتالي، فهما مترادفان.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اِجْعَل لي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ اَلنَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِي والإبكار﴾[1].

نزلت الآية الكريمة على سيدنا زكريا عليه السلام، عندما طلب من الله أن يرزقه بذرية، فاستجاب الله له وطلب منه ألا يكلم الناس لمدة ثلاثة أيام، بل يستعمل معهم بالإشارات فقط، وطلب منه التضرع إليه بالدعاء، نجد الحجة في هذه الآية (**ألاّ** تكلم الناس ثلاثة أيام **إلاّ** رمزا) قد دخل عليها العامل الحجاجي (ألاّ...إلاّ) الذي جعلها ذات أهمية عن بقية الحجج، فلو حذفنا العامل اللغوي يكون القول (تكلم النّاس ثلاثة أيام رمزا واذكر ربّك كثيرا...) فيتبادر إلى ذهن المتلقي إمكانات حجاجية كثيرة، منها الامتناع عن التحدث مع الناس ثلاثة أيام، التحدث مع الناس بالإشارات، فإدخال العامل الحجاجي في القول لم يغير من المعنى بل زاد من القيمة الحجاجية في الكلام المخصص، ويوجه اهتمام المتلقي بهذا القول إلى استخلاص النتيجة المتمثلة في الامتناع عن التحدث لمدة ثلاثة أيام فقط.

2 . 1 . 4 . عاملية إنّما: (إنّما) هي أداة تتكون من حرفين هما: (إنّ) المشبهة بالفعل تدخل على الفعل المضارع فتنصبه، و(ما) النافية، يرى عبد القاهر الجرجاني أنّ (إنّما)

[1] . سورة آل عمران، الآية 41.

«تأتي إثباتا لما يذكر بعدها، ونفيا لما سواه»[1]، فالعامل (إنّما) يفيد نفي الكلام الذي قبله والإثبات لما قبله. ويعد من بين العوامل الحجاجية الأكثر شيوعا في الخطابات، و«من أدوات السّلم الحجاجي كذلك القصر باستعمال إنّما والسبب في إفادة إنّما معنى القصر»[2]، وبالتالي تم إدراج العامل (إنّما) من عوامل القصر لأنها تفيد الحصر، وتفيد في الكلام بعدها إثبات الفعل لشيء ونفيه عن غيره، فإذ أُدخلت على «النواة وجهت الملفوظ نحو نتيجة محددة ضيقة فالجائي كما قال الجرجاني ليس إلاّ زيد وهذه هي النتيجة التي يروم البحث إيصالها للمتقبّل الذي يتوهّم أنّ الذي جاء قد يكون عمرا أو صالحا»[3].

وهناك من النحاة من يرى أنّها مرادفة لعامل (ما...إلاّ)، لاشتراكهما في تخصيص الكلام، يقول السكاكي في هذا الشأن: «السبب في إفادة القصر هو تضمنه معنى ما وإلا ولذلك تسمع المفسرين لقوله تعالى "إنما حرم عليكم الميتة والدم" بالنصب يقولون معناه ما حرم عليكم إلاّ الميتة والدم وهو المطابق لقراءة الرفع المقتضية لانحصار التحريم على الميتة»[4]، يعنى هذا القول أنّ العاملين (إنّما) و(ما...إلاّ) يقومان بنفس الوظيفة الحجاجية، وهي حصر الكلام وبيان قيمته. إلاّ أنّ هناك من النحاة من يرفض أن تكون عاملية (إنّما) مرادفة ل(ما...إلاّ)، ومن بينهم الجرجاني الذي يرى أنّ كلا العاملين (ما...إلاّ) و(إنّما) لا يصلحان لتأدية نفس الوظيفة فيقول «ألا ترى أنّها لا تصلح في مثل قوله تعالى (وما من إله إلا الله) ولا نحو قولنا ما أحد إلا وهو يقول ذاك، إذ لو قلت: (إنّما من إله الله) و"إنّما وهو يقول ذاك، قلت ما لا يكون له معنى»[5]، فالعاملان يقومان بالوظيفة نفسها وهي النفي، إلاّ أن

---

[1] . أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفرسي، الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط3، دار المداني، جدة سعودية، 1992، ص328

[2] . عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص520.

[3] . عز الدين النّاجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص54.

[4] . يوسف بن أب بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1987، ص291.

[5] . عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص329.

هناك بعض الحالات التي لا يمكن للعامل **(إنّما)** أن يعوض المعنى عاملية **(ما...إلاّ)** لأنهما لا تؤديان إلى نفس المعنى في جميع الأحوال.

وفي ما يلي مجموعة من نماذج من المدونة حول العامل الحجاجي (إنّما).

نموذج الأول:

قوله تعالى:﴿وَلاَ يَحْسِبَنَّ الذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1].

ورد في تفسير الجلالين «(لا يحسبن الذين كفروا أنّما نملى لهم) لا يحسب الكفار تطويل أعمارهم وتأخيرهم خير لهم، (إنّما نمهل لهم) بكثرة المعاصي»[2]، تتمثل الحجة الأولى في (لا يحسبن الذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم)، فالزيادة في طول عمرهم ليس زيادة خير لهم، تليها حجة ذات قوة حجاجية وهي الواقعة بعد العامل (إنّما) والمتمثلة في **(إنّما** نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)، والتي تنفي إطالة العمر للاستمتاع في حياة الدنيا، لتثبت لهم أنّ إطالة العمر ما هو إلاّ زيادة في الإثم، وبالتالي فإنّ الكلام الواقع بعد عامل (إنّما) هو حجة ذات قوة حجاجية جاءت لتبين سبب إطالة عمر الكفار، لإدراك النتيجة المتمثلة في نيلهم عقابا مضعفا.

. النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ اَلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ اَلنَّارِ وَأُدْخِلَ اَلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا اَلْحَيَاةُ اَلدُّنْيا إِلاَّ مَتَاعُ اَلْغُرُورِ﴾[3].

ففي هذه الآية الكريمة، نجد الله عزّ وجل يخبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنّ الذين افتروا عليه وكفروا به وبرسله وأنبيائه السابقين مصيرهم المحتوم الموت، فالحجة

---

[1] . سورة آل عمران، الآية 178.

[2] . جلال الدين محمد بن أمحمد المحلّي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، ت: صبري محمد موسى ومحمد فايز كامل، ط3، دار الخير، سوريا، 2003، ص73.

[3] . سورة آل عمران، الآية 185.

الأولى تتمثّلفي (كل نفس ذائقة الموت) تتبعتها الحجة الثانية الواقعة بعد العامل الحجاجي (إنّما) (**إنّما** توفون أجوركم يوم القيامة...)، فهذا العامل زاد من قوتها الحجاجية وأعطاها أهمية للتأثير على المتلقي، لغرض الوصول إلى النتيجة المتمثلة في أنّ الله سبحانه وتعالى سيعاقبهم، وأنّ مصيرهم هو النّار.

النموذج الثالث:

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

تمثل هذه الآية الحوار الذي جرى بين مريم وجبريل عليهما السلام، حينما جاءها ليبشرها بولد منها، لتتساءل عن كيفية وجود الولد منها وهي بدون زوج، وما كانت بغيا فأخبرها الملك بأنّ هذا أمر الله ولا يعجزه شيء، وأنّه يخلق ما يشاء، وهذا تصرح به الحجة الأولى، ثم تأتي الحجة الثانية الواقعة بعد العامل الحجاجي (إنّما) الذي أضفى قوة لها (**إنّما** يقول له كن فيكون)، حيث إنّ الله سبحانه وتعالى إذا شاء أن يحدث أمرا فلا وجود لقوة في هذا الكون تصده عن إرادته، فوجود الرابط (إنّما) هو الذي أدى إلى بيان نتيجة أنّ الله سبحانه وتعالى إذا قدّر لشيء أن يكون سيحدث بلا أدنى شك.

2 . 2 . عاملية أدوات النفي:

النفي هو نقض فكرة وإنكارها وهو ضد الإثبات، وقد تعددت أدواته في اللغة العربية منها: لا، لم، ليس، لن...الخ، يقول أنسكومبر «يوجد في اللغة صرافم، عوامل حجاجية تشد الملفوظ وتبدل/ توجّه أقسام النتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ في بدايته»[2]، فلمثل هذه

[1] . المصدر نفسه، الآية7 .

[2] . عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص47.

العوامل بعد حجاجي لأنّها تشحن قوتها في الكلام مما يجعلها من بين العوامل الحجاجية التي يستعملها المتكلم في خطابه للتأثير في المتلقي، والنفي «عامل حجاجي، يحقق به الباث وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتقبّل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى نتيجة (ن)»[1]، إنّ عاملية النفي لا تُدرك إلاّ بإدراك النتيجة التي يريد المتكلم توجيهها إلى المتلقي.

2 . 2 . 1 . عاملية (لن):

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا اَلنَّارَ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فَي دِينِهِم مَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[2].

جاء في تفسير الطبري معنى الآية «لن تمسنا النّار إلا أيام معدودات وهي أربعون يوما وهي الأيام التي عبدوا فيها العجل»[3]، نجد الحجة في هذه الآية **(لن** تمسنا النّار إلاّ أياما....) المرتبطة بالعامل الحجاجي (لن)، التي تعني أنّ اليهود يرون أنّهم سيدخلون النّار أربعين يوما فقط، وبالتالي ستكون النتيجة المتوصل إليها هي إنّه بانقضاء مدة عبادة أبائهم للعجل يزول عنهم العقاب. فلو حذفنا العامل الحجاجي (لن) تكون الحجة (قالوا تمسنا النّار إلاّ أياما....) فوجود العامل (لن) أو عدمه لم يغير في المعنى لوجود عامل (إلاّ) التي حصرت المدة الزمنية (إلاّ أياما)، بل زاد في قوة القول ليوجه المتلقي إلى استخلاص النتيجة المتمثلة في نجاتهم من النار.

النموذج الثاني:

---

[1] . سليمة محفوظي، عاملية أدوات النفي الحجاجية، منتديات واتا الحضارية www.wat.cc، PM04/01/2012 6:56.

[2] . سورة آل عمران، الآية 24.

[3] . ابن الطبري، جامع البيان، ج6، ص292.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذِينَ كَفَرُواْ لَنْ تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلَدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ﴾[1].

يوجه الله عز وجل خطابه إلى الكفار، وتتمثل الحجة الأولى في هذه الآية **(لن** تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم)، حيث إنّ الله سبحانه وتعالى ينفي تخليص الكفار من العذاب بمالهم وأولادهم يوم الحشر، وبالتالي نتوصل إلى النتيجة أنّ الله سبحانه وتعالى سيعاقبهم لا محال، فلو حذفنا العامل (لن) في القول تكون (الذين كفروا تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم...) سيغير من المعنى، وبالتالي غياب العامل يغير من معنى الحجة ليصبح أنّه بإمكان المال والأولاد أن يكونوا فداء للكفار حتى يخلصوهم من العقاب، فهذه الحجة مناقضة للحجة الأولى، فالعامل الحجاجي (لن) يحمل قوة حجاجية لما دخل على القول، فجسد قوته التي تفيد النفي والتي لها بعدا توجيهيا لمتلقي لاستخلص النتيجة المتمثلة في أنّ العقاب محتوم عليهم فلا الأولاد ولا الأموال تنجيهم من ذلك.

2 . 2 . 2 . عاملية لا:

النموذج الأول:

قوله تعالى:﴿إِنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهَ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾[2].

في هذه الآية الكريمة يؤكد الله سبحانه وتعالى أنّ الكفار الذين يتركون عهد الله وعدم تصديق أنبيائه ويزداد كفرهم ويتبعون أربابهم الكاذبة لهم عذاب أليم، فجاء الله بحجة تتمثل في **(لا** خلاق لهم في الآخرة و**لا** يكلمهم الله و**لا** ينظر إليهم يوم القيامة و**لا** يزكيهم ولهم عذاب أليم) فالله سبحانه وتعالى قد وعد الذين يستبدلون إيمانهم ويحلفون بالله كذبا أنّه لن يرحمهم ولن يطهرهم من ذنوبهم، وأنّ مصيرهم العذاب. نجد النفي في **(لا** خلاق لهم في

[1] . سورة آل عمران، الآية 116.

[2] . المصدر نفسه، الآية 77.

الآخرة و**لا** يكلمهم الله و**لا** ينظر إليهم يوم القيامة و**لا** يزكيهم ولهم عذاب أليم) يكون موجها إلي نتيجة إيجابية أنّ الله سيعذب كل من يكفر به، وقد يأتي إيجابا (خلاق لهم في الآخرة ويكلمهم الله وينظر إليهم يوم القيامة ويزكيهم ولهم عذاب أليم) الذي يوجه إلى نتيجة سلبية والمتمثلة في أنّ الله سبحانه وتعالى سيغفر لكل من يتخذ غيره ربا له وينجيه من عذابه.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[1].

في هذه الآية الكريمة ذكر الله سبحانه وتعالى الذين آمنوا بعيسى، أنّه نبي الله ويعملون الصالحات أنّهم سيجزيهم أجرهم في الدنيا ويظفرون بالجنة في الآخرة، وتتمثل حجة الله (**لا** يحب الظالمين)، حيث ذكر أنّه لا يجب من يشرك ويكفر به، نجد النفي في القول (لا يحب الظالمين) يوجه المتلقي إلى نتيجة موجبة، وهي كره الله لمن يكفر به، وقد يأتي إيجابا (الله يحب الظالمين) يوجه إلى نتيجة سلبية وهي أنّه مهما آمن النّاس بالله ولم يشركوا به إلاّ أنّه يفضل الظالمين فبدون احتواء هذه الحجة على العامل (لا) فإنّه سيتبادر إلى ذهن المتلقي المعنى غير مقصود من الحجة.

النموذج الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْمُرُكُمْ أن تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ والنّبيّين أَرْبَابًا أيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2].

جاءت الحجة في هذه الآية (و**لا** يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا...) التي تتضمن عاملا حجاجيا، حيث إنّ الله سبحانه وتعالى في هذه الآية يأمر النّاس ألاّ يعبد غيره لا نبي ولا ملك، فوظيفة العامل الحجاجي هنا هي المساهمة في استمالة ذهن المتلقي

[1] . سورة آل عمران، الآية 57.

[2] . المصدر نفسه، الآية 80.

وإقناعه بعدم التفكير في الشرك بالله، وجعله يصل إلى النتيجة المقصودة والمتمثلة في أنّ الله سبحانه وتعالى ويأمره بعبادته وحده لا شريك له. وإذا تم حذف العامل الحجاجي (لا) (ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا...) فالقارئ أو السامع لهذه الحجة يستنبط نتيجة سلبية مضمونها غير مقصود من الآية، وهي أنّ الله سبحانه وتعالى يأمر باتخاذ الملائكة والأنبياء أربابا والإيمان بهم.

2 . 2 . 3 . عاملية (ليس):

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأنثى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّـي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1].

في هذه الآية دعت حنة زوجة آل عمران لربّها أن يرزقها بولد، ووعدته أن تجعله لطاعة الله في المعبد، وبعد أن وضعت حملها تبين أنّها بنت، والحجة هنا تتمثل في(**وليس** الذكر كالأنثى وإنّي سميتها...) التي تتضمن عاملا الحجاجي (ليس) والتي تعنى بوجود الاختلاف بين الذكر والأنثى، حيث إنّ الذكور أحرار بينما الإناث لا تصلح لخدمة بيت المقدس لضعفها وعورتها، فالعامل الحجاجي (ليس) جسد قوته في الكلام الواقع بعده لنفي مساواة الذكر للأنثى، فيقود المتلقي إلى استخلاصه النتيجة بالرغم من وضعها لأنثى إلا أنّها وفت بوعدها لربها.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

[1] . سورة آل عمران، الآية 36.

[2] . المصدر نفسه، الآية 66.

يبن الله سبحانه وتعالى الجدال الذي حدث بين اليهود والنصارى بادعاء كل فئة منهم أنّها على ملة إبراهيم عليه السلام، وتتمثل الحجة في **(ليس** لكم به علم ...) والتي تتضمن العامل (ليس) الذي يفيد نفي علمهم بادعائهم أنّهم على ملة إبراهيم، حيث أنّ العامل (ليس) وظف ليشحن طاقته الحجاجية في الكلام، ولتوجيه المتلقي إلى استخلاص النتيجة المتمثلة في جهل الفئتين لعلم الله، وأنّ الله عز وجل هو العالم بذلك الشأن.

2 . 2 . 4 . التوكيد:

لم يكن أسلوب التوكيد في كلام العرب لونا من ألون الزينة، أو شكلا من أشكال الحشو لبناء خطاب دون أن تكون له فائدة، بل هو ركن من أركان البناء اللغوي، «يستعمل استعمال التوكيد، بترتيب درجته لغويا، وذلك عند إنتاج الخطاب الخبري في ثلاثة درجات من التوكيد طبقا لثلاثة سياقات كما يصنفها السكاكي الخبر الابتدائي، الخبر الطلبي، الخبر الإنكاري»[1]، فالخبر الابتدائي لا يستعمل فيه التوكيد، «لأنّ المرسل إليه خالي الذهن من حكم سابق، إذ يكتفي لذلك ما يعلمه من أنّ المرسل واثق من صدق خطابه، أما الخبر الطلبي فيلقي الخبر إلى المرسل إليه مؤكدا بأداة واحدة...وفي الخبر الإنكاري يستعمل أكثر من أداة توكيد، ليثبت صدقه حين يتصور أنّ المرسل إليه قد يكون منكرا»[2]

النموذج الأول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اَصْطَفَى أَدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآل عِمْرَانَ عَلَى اَلْعَالَمِينَ﴾[3]

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنّه اختار آدم ونوحا وإبراهيم وآل عمران أنبياءً له وجعلهم أفضل أهل زمانهم، واختارهم أن يكونوا على دين الإسلام، حيث أنه استعمل عامل (إنّ) للتأكيد الحجة، وجاء التوكيد هنا لإثبات أنّهم أُرسلوا ليكونوا على دين واحد وهو الإسلام.

[1] ـ عبد الهادي ظافر بن الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص523_524.

[2] . حياة دحمان، تجليات الحجاج في القرآن الكريم سمرة يوسف أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الححاج لخضر، باتنة الجزائر، 2013/2012، ص200_201.

[3] . سورة آل عمران، ص33.

النموذج الثاني:﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتُ ولَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرَيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1]

تتحدث هذه الآية عن حنة امرأة عمران، حينما كانت حاملا، وعدت الله أن تقدم ولدها لخدمة الله سبحانه وتعالى ولبيت المقدس، وبعد وضعها لحملها تبين أنه أنثى، وليس الذكر كالأنثى فالولد عندهم أحرار ، أما الأنثى فضعيفة و تعتبر عورة ، لكن زوجة عمران صممت على الوفاء بوعدها، وما يبين ذلك في الآية الكريمة هو تكرار استعمال العامل (إنّ) أكثر من مرتين والذي يفيد التوكيد، ليجعل المتلقي يسلّم بما يعرض عليه من حجج ويقتنع بالنتيجة التي تسعى إليها هذه الآية والمتمثلة في وفاء حنة بوعدها لله.

. لام التعليل:

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ اَلتَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ اَلذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّنِ رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[2].

في هذه الآية الكريمة الله سبحانه وتعالى يُذكر أنّ عيسى عليه السلام، جاء ليبلغ قومه بنبوته، وليحل لهم ما كانوا يحرمونه على أنفسهم، حيث وظف في هذه الآية (لام التعليل) مكررة مرتين لتأكيد وتقوية الحجج، ممّا جعل المتلقي يوجه انتباهه إليها، وبها يتفطن إلى استنباط نتيجة ألا وهي أنّ تعليل الغاية من إرسال النبي عيسى عليه السلام لاستكمال ما جاء به سيدنا موسى وتحليل ما حرموا أنفسهم عليه.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

[1] . سورة آل عمران، ص35.

[2]. المصدر نفسه، الآية 50.

يخبرنا الله تعالى عن اليهود الذين يحرفون كلام الله، ويبدلونه ويزيلونه عن المراد به، ليوهموا الجهالة أنّه كتاب الله، وهو كذب وهم يعرفون أنّهم قد افتروا على الله، استهلت الآية بعامل (إنّ) ورافقه (لام التعليل) باعتبارهما مؤكدان، ويتمتّعان بقوة حجاجية، حيث إنّ عامل التوكيد (إنّ) يؤكد على وجود فئة معينة، ليأتي عامل (لام التعليل) ليحدد الفئة المحرفة للتوراة.

2 . 2 . 5 . السلالم الحجاجية: بعد تحليلنا لنماذج المدونة على المستوى الأفقي، ندرجها في السلم الحجاجي على المستوى العمودي لتوضيح قميتها.

*عاملية (ما ... إلا)

. النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُ وَمَا مِنِ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

ويمكمن توضيحه بالشكل البياني كما يلي:

ما ← من إله (النتيجة) ← **إلاّ** ← الله (الحجة)

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ الْتَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[3].

ما ← أنزلت التوراة والإنجيل ← **إلاّ** ← من بعد سيدنا إبراهيم

*** . عاملية لا ...إلاّ:**

[1] . سورة آل عمران، الآية 78.

[2] . المصدر نفسه، الآية 62.

[3] . المصدر نفسه، الآية 65 .

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُؤمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلِ إِنَّ اَلْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤتى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمُ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلِ إِنَّ اَلْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَّشَاءُ وَاللهُ واَسِعُ عَلِيمٌ﴾[1]

لا ← تؤمنوا ← **إلاّ** ← لمن تبع دينكم.....

*** عاملية ألاّ... إلاّ:**

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ اَلْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اِشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2].

ألاّ ← نعبد ← **إلاّ** ← الله ولا نشرك به

تخصيص العبودية ← لله فقط

يتّضح من خلال هذا الشكل أنّ العبودية محصورة بالعامل الحجاجي (ألاّ...إلاّ) فقد خصصت العبودية فقط لله سبحانه وتعالى دون سواه.

*** عاملية إنّما:**

. النموذج الأول:

قوله تعالى:﴿وَلاَ يَحْسِبَنَّ الذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3].

ورد في تفسير الجلالين «(لايحسبن الذين كفروا أنّما نملى لهم) لا يحسب الكفار تطويل أعمارهم وتأخيرهم خير لهم، (إنّما نمهل لهم) بكثرة المعاصي»[1]، تتمثل الحجة الأولى في

---

[1]. سورة آل عمران، الآية 73.

[2] . المصدر نفسه، الآية 64.

[3] . المصدر نفسه، الآية 178.

(لا يحسبن الذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم)، الزيادة في طول عمرهم ليس زيادة خير لهم ثم تأتي الحجة ذات قوة حجاجية الواقعة بعد عامل (إنّما) المتمثلة في: (**إنّما** نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)، والتي تنفي إطالة العمر للاستمتاع في حياة الدنيا، لتثبت لهم أنّ إطالة العمر ما هو إلاّ زيادة في الإثم، وبالتالي فإنّ الكلام الواقع بعد عامل (إنّما) هو حجة ذات قوة حجاجية جاءت لتبين سبب إطالة العمر، لإدراك النتيجة المتمثلة في نيل الكفار عقابا مضعفا.

الحجة1: لا يحسبن الذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم

الحجة2: **إنّما** نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين

النتيجة ↑ نيل الكفار عقابا مضعفا

– ح2 **إنّما** نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين

–ح1 لا يحسبن الذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم.

الحجج في السلم الحجاجي مرتبة ترتيبا تصاعديا، حيث أدرجت الحجة الثانية بعد الحجة الأولى لتضمنها العامل الحجاجي (إنّما) وبالتالي هي أقوى مقارنة بالحجة الأولى، وبه يتم التوجه إلى النتيجة.

. نموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ اَلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ اَلنَّارِ وَأُدْخِلَ اَلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا اَلْحَيَاةُ اَلدُّنْيا إِلاَّ مَتَاعُ اَلْغُرُورِ﴾[2].

الحجة1: كل نفس ذائقة الموت

[1] . جلال الدين محمد بن أمحمد المحلّي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، ص73.

[2] . سورة آل عمران، الآية 185.

الحجة2: **إنّما** توفون أجورهم يوم القيامة

الحجة3: فمن زحزح عن النّار

الحجة4: وأدخل الجنة فقد فاز

الحجة5: وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور

النتيجة: أنّ الله سبحانه وتعالى سيعاقبهم ومصيرهم النّار.

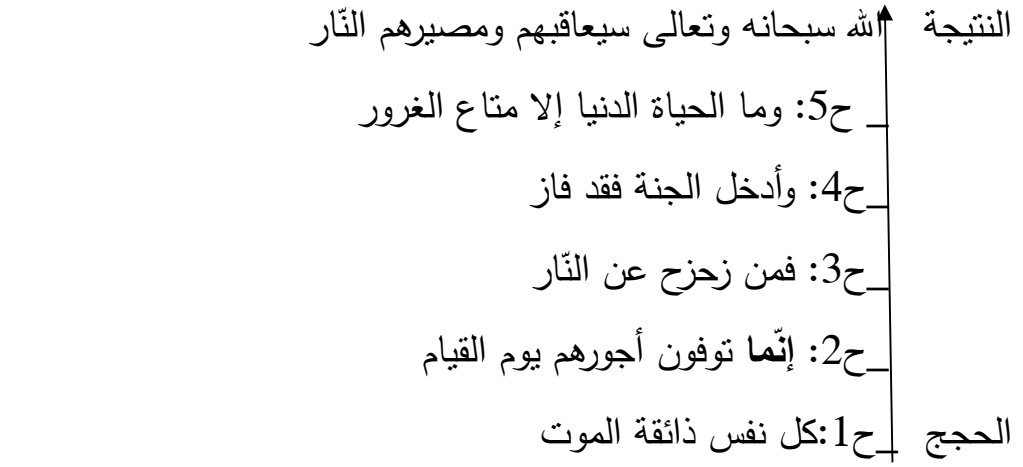

نلاحظ أنّ السلم الحجاجي يحتوي على أكثر من حجة، حيث إنّه كلما كانت الحجة في أعلى السلم الحجاجي، كانت قيمتها الحجاجية أقوى، فالحجة (ح2) هي الحجة الأقوى لاحتوائها على العامل الحجاجي، وبالتالي هي التي توصل للنتيجة أنّ الله سبحانه وتعالى سيعاقبهم ومصيرهم النّار.

- **عاملية أدوات النفي:**

. عاملية لن:

. النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا اَلنَّارَ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فَي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[1].

النتيجة ↑ إدّعاء الكفار النجاة من النار.

الحجج ـ ح2: **لن** تمسنا النار إلاّ أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون

ـ ح1 ذلك بأنهم قالوا

يتبين من خلال السلم الحجاجي، أنّ الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، لتوفرها على العامل الحجاجي، وبالتالي تكون قيمتها الحجاجية أقوى من سابقتها، للوصول إلى النتيجة المتمثلة في أدعاء الكفار النجاة من النار.

. النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذِينَ كَفَرُواْ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ﴾[2].

الحجة1: إنّ الذين كفروا

الحجة2: لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وألئك أصحاب النّار هم فيها خالدون.

النتيجة: العقاب محتوم عليهم فلا الأولاد ولا الأموال ينجهم من ذلك.

النتيجة: ↑ العقاب محتوم عليهم فلا الأولاد ولا الأموال ينجيهم من ذلك

ـ ح2: لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وألئك أصحاب النّار هم فيها خالدون.

ـ ح1: إنّ الذين كفروا

[1] . سورة آل عمران، الآية 24.

[2] . المصدر نفسه، الآية 116.

السلم الحجاجي يوضح ترتيب الحجج تصاعديا، حيث كلما كانت الحجة (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) في أعلى السلم الحجاجي، كانت قيمتها الحجاجية أقوى وبالتالي تكون هي أقرب إلى الوصول إلى نتيجة أنّ عقاب الكفار محتوم عليهم فلا أولادهم ولا أموالهم تغنيهم عن العذاب.

عاملية لا:

النموذج الأول:

وله تعالى:﴿إِنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهَ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾[1].

الحجة1: إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا

الحجة2: لا خلاق لهم في الآخرة

الحجة3: ولا يكلمهم الله

الحجة 4: ولا ينظر إليهم يوم القيامة

الحجة5: ولا يزكيهم

النتيجة: أنّ الله سبحانه وتعالى لن يغفر لكلّ من يتخذ غيره ربا له وينجيه من عذابه.

النتيجة أنّ الله سبحانه وتعالى لن يغفر لكل من يتخذ غيره ربا له وينجيه من عذابه.

الحجج
- ح5: ولا يزكيهم
- ح4: ولا ينظر إليهم يوم القيامة
- ح3: ولا يكلمهم الله
- ح2: لا خلاق لهم في الآخرة
- ح1: إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا

[1] . سورة آل عمران، ص الآية 77.

نلاحظ في هذا السلم الحجاجي أنّ الحجج المتتابعة التي تحتوي على العامل الحجاجي(لا) هي الأقوى والتي تحمل قوة حجاجية، والمتمثلة في: لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم كل هذه الحجج تُوصلنا إلى نتيجة أنّ الله لن يغفر لمن يتخذ غيره إلها.

- **عاملية (ليس):**

. النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿هَآنْتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

الحجة1: حاججتم فيما لكم به علم

الحجة2: لما تحاجون فيما ليس بكم به علم

نتيجة: جهلهم لعلم الله، وأنّ الله عز وجل هو العالم بذلك الشأن.

النتيجة: جهلهم لعلم الله، وأنّ الله عز وجل هو العالم بذلك الشأن.

ـح2: لما تحاجون فيما **ليس** بكم به علم

ـح1:حاججتم فيما لكم به علم

الحجج

السلم الحجاجي يوضح أنّ الحجة الثانية (تحاجون فيما ليس لكم به علم) تتضمن عاملا حجاجيا (ليس) الذي ينفي العلم عن الكفار، وعدم الخضوع فيما لا يعنيهم، و بالتالي توجد الحجة الثانية أعلى السلم وهي قريبة من النتيجة المتمثلة في أن العلم يكون لله فقط لا غيره، مما يجعل قيمتها الحجاجية أقوى من الحجة السابقة.

[1]. سورة آل عمران، الآية 66.

***عاملية (إنّ)**

. النموذج الثاني:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ولَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرَيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ اَلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1]

الحجة الأولى: فلما وضعت قالت رب

الحجة الثانية: **إنّي** وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى

الحجة الثالثة: **إنّي** سميتها مريم

الحجة الرابعة: **إنّي** أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم

النتيجة وفاء حنة بوعدها

الحجج
- ح4 **إنّي** أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم
- ح3 **إنّي** سميتها مريم
- ح2 **إنّي** وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى
- ح1 فلما وضعت قالت رب

من خلال السلم الحجاجي أعلاه، نلاحظ أن العامل الحجاجي (إنّ) ورد أكثر من مرة، وُظّف لتأكيد الحجج والتأثير على المتلقي واستمالته لدفع الشك الذي يساوره، وكلما وردت حجة أعلى السلم كانت الأقرب إلى النتيجة.

[1] سورة آل عمران، ص35.

المبحث الثاني: الآليات البلاغية

تعد البلاغية بفنّيها (علم البيان وعلم البديع) من بين الوسائل الحجاجية التي تساعد المتكلم في تأدية المعنى، وذلك من خلال انتقاء المفردات اللازمة وحسن تنظيمها، مما يتيح جمال الأسلوب وتشكيل المعنى لغرض الإبلاغ، فتزيد من قيمة المعاني في الخطاب، فهذه الآليات البلاغية تخلق طاقة حجاجية في الكلام المجازي الذي يهدف إلى جعل المتلقي يتأثر ويسلّم بفكرة المتكلم، فهذا الأخير يختار الألفاظ المجازية من أجل إقامة حججه به، بهدف التأثير في المتلقي.

وعلم البيان هو العلم الذي يدرس المعنى المجازي ويسعى للكشف عن المعنى الحقيقي، إذ يعرف الجاحظ هذا علم بأنّه: «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضى السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، وإنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى»[1]، فالبيان هو الذي يكشف ستار المجاز في الكلام ويرده إلى الحقيقة المقصودة، وهو من بين الوسائل الحجاجية التي تؤدي وظيفة الفهم والإفهام والذي يسعى بها المتكلم إلى إقناع المتلقي.

أمّا علم البديع فغرضه هو تحسين الكلام مع مراعاة مقتضى الحال، حيث إنّ توظيف المحسنات البديعية في الخطابات ليس من أجل الزخرفة والتزيين اللفظي فحسب، بل لها دور حجاجي فيما تؤديها من معنى،فوظيفة البديع لا تتوقف عند الجانب الشكلي «إذ إنّ لها دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغة الأبعد...، والبلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانات، ومليئة بالشواهد التي تثبت أنّ الحجاج من وظائفها الرئيسية، وليس وجودها على سبيل الصنعة في أصلها، وإن كان لا يمنع المرسل

[1]. الجاحظ، البيان والتبيين ج1، ص82.

من أن يبدع كيفما يشاء»[1]، فالهدف من توظيف البديع ليس فقط من أجل جمالية الأسلوب وزخرفة الخطاب، وإحداث أجراس موسيقية تجذب عواطف ومشاعر المتلقين، بل لها وظيفة حجاجية، خاصة في النص القرآني الذي يسعى، من خلال مختلف المحسنات التي تزخر بها السور القرآنية، إلى إبراز معاني الأحكام. وينقسم البديع إلى قسمين هما: المحسنات اللفظية منها: السجع، الجناس والمحسنات معنوية منها طباق ومقابلة.

ويرى بيرلمان أنّ «الشكل البلاغي يعتبر برهانيا كلما استطاع أن يولد تغيرا في المنظور، وكان استخدامه طبيعيا بالنسبة للموقف الجديد الموحي به. وعلى العكس من ذلك إذا كان الخطاب لا يثير تأييد المتلقي لهذا الشكل البرهاني فإنه يتم إدراك الشكل البلاغي حينئذ باعتباره مجرد زينة أو حيلة أسلوبية، مما يمكن أن يثير الإعجاب، لكن على المستوى الجمالي، أو كدليل على براعة المتكلم»[2]، فالشكل البلاغي يتوقف على مدى توظيف المتكلّم لتقنيات مجازية في خطابه ذات تأثير تخييلي بارع، فتكون حجته برهانا قويا وناجحا، بينما إذا وظف المتكلم مجازات المزخرفة لا ترتقي إلى البرهان القوي، فتكون مجرد تزينات شكلية لا تؤدي إلى الإقناع. فالخيال الإبداعي يجعل الكلام مهمّا، ويرى بيرلمان وزميله أنّ التقنيات الحجاجية تقوم على: «إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج، فأنجع حجّة هي تلك التي تنجح في تقوية حدة الإذعان عند من يسمعها وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء الإقدام على العمل أو الإحجام عنه، أو هي على الأقل ما تحقق الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة»[3]، فالوسائل البلاغية تزيد القول قوة وتساهم في الخضوع لفكرة المتكلم، ويمكن أن تدفعه إلى التسليم بهذه الفكرة أو تجعله غير مقتنع بالحجة.

---

[1]. عبد الهادي ظافر بن الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص498.

[2]. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص134.

[3]. عبد الهادي ظافر بن الشهري، المرجع نفسه، ص456_457.

وكلّ ما سبق ذكره، هو مجسّد في الخطاب القرآني، وهو خطاب موجه للبشرية كافة وبالتالي فإنّ الله سبحانه وتعالى يوضح أحكامه التشريعية ويبين معجزاته من خلال تلك الأساليب التي تحمل في طياتها أبعادا حجاجية غرضها إقناع البشرية بما تحمله من أحكام ومواعظ ووعد ووعيد، وأخبار الأمم السابقة، وقصص الأنبياء، فتارة تخاطب الكفار وتارة المسلمين، أو المؤمنين، أو عامة الناس، وهي تجمع بين الامتاع والإقناع، ففي هذا الشأن وظفت آليات بلاغية حجاجية في الخطاب القرآني بغية توجيه وجذب عقول المتلقين وإحداث تفاعل لديهم، مما يجعلهم يتساءلون عما هو القصد، فالوظيفة البلاغية الحجاجية تقوم بالإقناع بالدرجة الأولى وتليها الوظيفة الإمتاعية فيما يخص الإعجاز في خلق السماوات والأرض، فهذه تجعل من قارئ القرآن يتمتع بتأملاته حول ما يدور حوله، ويتّسم النص القرآني بثرائه بالصور البيانية والمحسنات البديعية التي تحمل وظيفتين، وظيفية بلاغية امتاعية ووظيفية حجاجية إقناعية.

1_الاستعارة: الاستعارة «وسيلة لتصور شيء ما من خلال شيء آخر»[1]، بمعنى وصف شيء حقيقي باستعمال ألفاظ مجازية، أي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنيين الحقيقي والمجازي مع وجود قرينة مانعة من إيراد المعنى الحقيقي، فيعمد إلى إظهار أحد طرفيه (المشبه أو المشبه به)، وفي الاستعارة يكون أحد طرفيها دائما محذوفا، ويترك قرينة تدل عليه، وتعمل الاستعارة على تفعيل التواصل بين المتكلم والمتلقين إذ يعتبرها العزاوي «من الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنّها من وسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا»[2]، الاستعارة آلية من الآليات الحجاجية البلاغية، يستغلها المتكلم لغرض تحقيق أهدافه الحجاجية الإقناعية، فهي من الناحية

[1]. جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار توبقال لنشر، المغرب، 1996، ص56.

[2]. أبو بكر العزاوي، اللغة الحجاج، ص105.

البلاغية عبارة عن تشبيه حذفت بعض أركانه، ومن الناحية الحجاجية تعتبر قياسا يتكون من مقدمتين واستنتاج. وسيتم توضيح ذلك بنماذج من سورة آل عمران.

فالاستعارة إذن تحمل في جوهرها وظيفة حجاجية تهدف إلى جذب انتباه المتلقي والتأثير فيه، مما يجعله يبحث عن القصد في الكلام، ويلجأ إلى تفسير تلك المجازات التي تقول ما لم يكن في اللغة، فهذا يعنى أنّ المجاز له وظيفة إخبارية حجاجية.

وتنقسم الاستعارة في اللغة العربية إلى نوعين، هما الاستعارة المكنية والاستعارة التصريحية، الاستعارة المكنية: وهي التي ذكر المشبه وحذف المشبه به وترك أحد لوازمه الذي يدل عليه، أما الاستعارة التصريحية فهي التي ذكر فيها المشبه به وحذف المشبه، فالاستعارة واردة في سورة آل عمران بكثرة وتؤدي دورا حجاجيا مهما، حيث تم توظيفها في الخطاب القرآني لغرض إقناع المتلقي بأمور دينية كثيرة، علما أنّ الاستعارة تعمل على استمالة العقول والقلوب والتأثير عليهما. ولتوضيح دور الاستعارة في المدونة نعرض بعض النماذج منها للتحليل.

- **الاستعارة المكنية**

النموذج الأول:

قوله تعالى:﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأنبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذابَ الْحَرِيقِ﴾[1].

تتحدث الآية الكريمة عن الكفار الذين يسخرون من الله، ويفتخرون بكثرة أموالهم، ويقتلون الأنبياء، فأرسل الله سبحانه وتعالى حجته التي هي **(سنكتب ما قتلوا من الأنبياء)** وأضاف حجة وظفت فيها استعارة :**(ذوقوا عذاب الحريق)** حيث شبه فيها الله تعالى العذاب وهو المستعار له، بالطعام المحسوس الذي يتذوقه ويأكله النّاس وهو المستعار منه، فحذف هذا الأخير وترك أحد لوازمه الذي يدل عليه وهو المستعار (ذوقوا) وتمثل هذه الاستعارة

[1]. سورة آل عمران، الآية 181.

استعارة مكنية، فالله سبحانه وتعالى يريد من خلالها أن يبين أنّ الكفار سيذوقون مرارة العذاب كتذوقهم الطعام، ويريد من خلالها إيصال معاني الترهيب والتخويف إلى المتلقي، فعبارة (ذوقوا عذاب الحريق) لها بعد حجاجي تحمل قصدا موجها للكفار المتمثل في وعدهم بعذاب النار في اليوم الآخر.

حجة ← نتيجة ← إقناع

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِنْ تُصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1]

نجد الآية الكريمة تصف حال الكفار أثناء رؤيتهم لأهل الإيمان على ألفة ومحبة، لما يصيبهم من سوء وغيض، وحين يروهم على اختلاف وفرقة يسرّهم ذلك، وتحتوي الآية على استعارة مكنية والتي تمثل حجة **(إنْ تمسسكم حسنة)**، فقد شبه اللّمس الذي هو خاص بالشيء المحسوس للحسنة وهي أمر معنوي، فحذف المستعار منه الذي هو الإنسان، وترك أحد لوازمه(تمسسكم)، فقد استعير اللمس هنا للحسنة، وهي لا تمس، إنّما للدلالة على أنّها أقل إصابة، إشارة إلى أنّ الكافرين يستاءون مما يصيب المؤمنين من خير، ويفرحون لما يصيبهم من شر، فالله سبحانه وتعالى يخاطب المتلقي وينبهه، كذلك يحثه على الصبر والتقوى، و بالتالي هذه الاستعارة تحمل قوة إنجازية حجاجية توجه المتلقي إلى التفطن والانتباه لمقاصد الله الضمنية، للوصول إلى النتيجة الجوهرية المتمثلة في السلامة من كيد وضر الكفار.

النموذج الثالث:

قوله تعالى:﴿إِنَ الذِينَ اَشْتَرَوُاْ اَلْكُفْرَ بِالإِيمان لَنْ يَّضُرُّواْ اللهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابُ اَلِيمٌ﴾[1].

[1]. سورة آل عمران، الآية120.

تعبر الآية عن الذين ابتاعوا الكفر فارتدوا عن إيمانهم بعد دخولهم فيه، ورضوا بالكفر بالله ورسوله، حيث إنّ كفرهم وتخليهم عن إيمانهم لن يضر الله، بل يضرون أنفسهم، وبالتالي فإنّ الله سبحانه وتعالى يتوعدهم بالعذاب الشديد، وتتضمن هذه الآية حجة تتمثل في استعارة مكنية، (اشتروا الكفر بالإيمان)، حيث شبه الكفر بالسلعة التي تباع وتشترى، حذف المستعار منه وصرح بأحد لوازمه أي المستعار له (اشتروا)، فهنا اشتروا بمعنى اختاروا، فشبه الاختيار بالشراء، وتتمثل القوة الحجاجية في تجسيد المعنى وتقويته لدى المتلقي.

***الاستعارات التصريحية:**

النموذج الأول:

قوله تعالى:﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ اَلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَتُرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]،

تتحدث الآية عن معجزات الله في الكون والتي تتمثل في تعاقب الليل والنهار، أنّه يأخذ أحدهما من الآخر، فيكون الليل أحيانا أطول من النّهار، والنّهار أحيانًا أطول من الليل، كذلك معجزة إخراج الحيّ من الميت والميت من الحيّ أي يخرج الإنسان الحيّ والأنعام والبهائم الأحياء من النّطف الميتة، ويخرج النطفة الميتة من الإنسان الحي والأنعام والبهائم، وكذلك إخراج الميت من الحي، في هذه الآية استعارة تتمثل (تولج الليل في النهار) حيث شبه الليل والنهار (المستعار منه) بالشيء الملموس وحذف (المستعار له) مع تركه لقرينة تدل عليه (تولج) ولفظ الولوج هو فعل إنجازي أدى وظيفة حجاجية إبلاغية، لأنه يفيد إدخال كل واحد منهما في الآخر بطريقة إعجازية دون صدور أي صوت خشن أو إزعاج، فهذه الاستعارة تؤثر في القارئ والسامع وتحفزه من خلال أثر التفاعل على إعمال فكره للبحث

[1]. سورة آل عمران، الآية177.

[2]. المصدر نفسه، الآية27.

عن العلاقة بين المجاز والحقيقة، التي تجعل المتلقي يدفع الشك ويصوب اعتقاده من خلال تمعنه وتأمله لما يدور في هذا الكون من ظواهر إعجازية.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذّينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1].

نجد في هذه الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى يخاطب الكفار، حيث يخبرهم أنّه مهما أملى فيهم، أي أطال في أعمارهم سيكون خير لهم، بل إنّه كلما زاد في أعمارهم زادت آثامهم وذنوبهم، تتناول هذه الآية استعارة تتمثل في (أنّما نملي لهم خير لأنفسهم)، مستعار من أملى لفرسه، أي أرخى له الحبل ى كما يشاء، فقد شبه شبههم بالفرس التي يملي حبلها، فحذف المشبه به وهو (الفرس) وأبقى المشبه به (الكفار) مع تركه لقرينة تدل على ذلك وهي نملي، وتعتبر هذه الاستعارة والتي تحمل قوة حجاجية في ذاتها مغزى ضمنيا تؤثر على المتلقي، وتجعله يتفاعل ويصل إلى نتيجة أنّ الله يؤكد بحجته أنّه كلما طال عمر الكفار زادوا إثما ويتوعدهم بالعقاب.

النموذج الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2]

يحث الله سبحانه وتعالى في هذه الآية النّاس إلى التمسك بدينه وكتابه الذي أمرنا به، والبقاء على عهده والتسليم به، فأنزل الله سبحانه وتعالى حجته المتمثلة في (واعتصموا بحبل الله جميعا) فهي استعارة حجاجية، فقد شبه الله سبحانه وتعالى عهده ودينه بالحبل الذي يشد

[1]. سورة آل عمران، الآية، ص178.

[2]. المصدر نفسه، الآية 103.

الطرف، استعيرت لفظة حبل للدلالة على الدين فادّعى دخول المستعار له (الدين) وهو محذوف في المستعار منه (الحبل) لوجود المشابهة بينهما وهي المنع من الوقوع، لأنّ الحبل يربط بشيء والدين يصل الناس بالله وتقوي العلاقة بين العبد وخالقه ومن تمسّك بحبل الله نجا من السقوط، وتحمل هذه الاستعارة قوة حجاجية تحفز ذهن المتلقي على الوصول في البحث عن القياس (شبه حصانة الدين للعبد بالحبل القوي المشدود بإحكام لا يمكن لمن تمسك به أن يسقط) الذي أُحدث في العبارة بين الحقيقة والمجاز، والغرض من حجته هو توجيه عباده إلى الإيمان به.

2 . تشبيه:

يعد التشبيه وجها من وجوه الاستعمال المجازي، وهو يقع في المرتبة الثانية بعد الاستعارة من ناحية درجة الوضوح، هذا من جهة، ومن جهة أخرى من ناحية الإقناع ، فهو عبارة عن عقد مقارنة بين شيئين يشتركان في صفة واحدة، وله أربعة أركان وهي: المشبه والشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، ويعرفه أحد الباحثين بأنّه «عقد الصلة بين صورتين، ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه»[1]، فالتشبيه هو ربط موصوفين بصفة مشتركة بينهما، يستعمله المتكلم في خطابه لتأكيد معناه وتقوية حججه وإقناع الطرف الآخر وإثبات فكرة أو نفيها، وهذا ما يوضحه كلام أبى هلال العسكري«التشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا»[2]، يساهم التشبيه في زيادة القوة الحجاجية في القول.

إنّ التشبيه لا يؤتي به ليكون زينة زخرفية تحسينية، بل ليزيد المعنى وضوحا لما له من أهمية التصوير وتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي، وهذا ما يتميز به الخطاب القرآني، ومن أجل توضيح ذلك نقوم بدراسة بعض النماذج من سورة آل عمران وتحليلها.

---

[1]. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص497.

[2]. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1998، ص243.

النموذج الأول:

قوله تعالى:﴿إِنَّ الذِينَ كَفَرُواْ لَنْ تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾، ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعُونَ وَالِذينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِم وَاللهُ شَدِيدُ اَلْعِقَابِ﴾[1].

تشتمل الآية الكريمة على التشبيه التمثيلي، حيث تصف الآية حال المشركين وعدم تقبلهم نبوة النبي عليه الصلاة والسلام وتكذيبهم لآيات الله التي جاء بها، فشبه الله سبحانه وتعالى الكافرين (المشبه) بقوم فرعون الذي هو (مشبه به) لوجود وجه الشبه المتمثل في الانغماس في الكفر وعداوتهم للرسل وتكذيبهم لآيات الله، فأُستخدم هذا التشبيه لبيان حجته المتمثلة في وصف حال الكافرين بآياته وبيّن مصير أفعالهم، ومثّل لنا بهذه الحجة لتوجيه تفكير السامع أو القارئ لتمعن في آية الله، فيولد عنده تأثير وتفاعل بمضمونها ويأخذ العبرة من الحالة التي آل إليها قوم فرعون من كثرة نزول المصائب عليهم نتيجة أعمالهم، فهذا التشبيه فعل إنجازي يولد التأثير لدى السامع، ويجعله يستذكر هذه الحادثة ويقتنع بما سوف يفعله الله لمن يكفر به وبما أرسله من رسل وأنبياء، فالتشبيه يعد وسيلة حجاجية تجذب المتلقي وتوجه تفكيره، وتجعله يبحث عن المعنى الضمني للآية ،فهو يؤدي وظيفة حجاجية تتمثل في إيضاح وتوكيد المعنى الذي به يصل إلى الإقناع. والتشبيه التمثيلي أقوى حجة استدلالية كونه يثير التفاعل مع الخطاب ويحدث التأثير فيالمتلقي.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ في هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أصابت حَرثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنَ أَنفُسَهُم يَظْلِمُونَ﴾[2]

[1]. سورة آل عمران، الآية 10_11.

[2]. المصدر نفسه، الآية 117.

ورد في هذه الآية تشبيه تمثيلي، حيث شبه الله سبحانه وتعالى ما ينفق الذين كفروا وما يتصدقون من مالهم وهم منكرون لوحدانية الله ومكذبون لرسول الله (المشبه)، بريح فيها برد شديد أصابت زرع قوم كانوا ينتظرون عائده وهم عاصون لله (المشبه به) فأهلك حرثهم، ويتمثل وجه الشبه في الكفر والشرك، فالله عز وجل جاء بهذه الحجة ليبين للكفار أنّه عليم بما يدور في صدورهم من كفر، مدرك لتلاعبهم بصدقاتهم المزيفة بغية المكر بالله ليبارك لهم في أموالهم. فالله سبحانه وتعالى استخدم هذا التشبيه ليؤثر على المتلقي في جعله يستدرك الغاية من إيراد هذه الحادثة، ومدى تأثره بها، فيربطها بالفترة الزمنية الذي هو فيها، فيجد أنّ مثل هذه الحالة سائدة في كل زمان، وهذا ما يميز الخطاب القرآني بكونه يصلح لكل زمان.

3 . الكناية: تعتبر الكناية من أهم الصور البلاغية تحقيقا للإقناع لما لها من طاقات حجاجية على مستوى الخطاب، فهي من وسائل التفنن في القول والإبداع في إثبات المعنى والاحتجاج له، نجد عبد القاهر الجرجاني يقول: «المراد بالكناية ههنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيءُ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيرمي به إليه، ويجعله دليلا عليه»[1]، فالكناية هي تعبير عن القصد بلفظة مختلفة عن تلك الموضوعة لها في اللغة. وبين عبد القاهر الجرجاني غرض الكناية «أن تنظر أولا إلى الكناية، وإذا نظرت إليها وجدت حقيقتها ومحصول أمرها أنها إثبات لمعنى، أنت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ»[2]، يرى الجرجاني أنّ معنى الكناية لا تكون باللفظ الظاهر وإنّما يقصد بها المعنى الضمني أي معنى المعنى وهذا الأخير لابد من إعمال العقل للكشف عن القصد لأنّ القصد غير موجود في اللفظ المصرح بل موجود في جوهره.

[1]. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص66.

[2]. المصدر نفسه، ص431.

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿هاأنتم أَوْلاَءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤمِنُونَ بِالكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأنامل مِنَ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمُ إِنَّ اللهَ عَلِيمُ بذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1].

في هذه الآية الكريمة ينهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين المنافقين عن المقاربين منهم ويحثهم على عدم إفشاء أسرارهم ولا يستأمنون، حيث إنّ الكفار يستغلون كل فرصة تضر بالمؤمنين ويسعوا بكل ما أوتوا من قوة للإضرار بهم، فكراهيتهم ظاهرة على فلتات ألسنتهم وما خفي في صدروهم من البغض أكبر، فقد حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين منهم ومن حقدهم، إضافة إلى إيمان المؤمنين بجميع الكتب المنزلة من عند الله بينما المنافقون لا يؤمنون بما أنزله الله ويتظاهرون أمام المؤمنين بإيمان مزيف، وعند إنفراد بعضهم البعض ويعضون أناملهم من الغيظ (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ)، وهي كناية حجاجية لها قوة تأثير على عقل المخاطب ونفسيته حيث أنّ عض الأصابع تُعد عادة متوافق عليها أنّها تعبر عن الحقد والكراهية، فعض الأنامل هو ما يكنى عن المعنى الحقيقي الذي هو الحقد والكره وهي النتيجة التي يتوصل بها المتلقي لاستخلصها.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا اَلَّذِينَ اَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إيمانكم فَذُوقُواْ اَلْعَذَابَ بِمَا كُنتُم تَكْفُرُونَ﴾[2]، قوله تعالى:﴿وَأَمَّا الذِينَ اَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3]

---

[1]. سورة آل عمران، الآية 119.

[2]. المصدر نفسه، ص106.

[3] . المصدر نفسه، الآية 107.

(فأما الذين اسودت وجوههم) معناه أنّهم جحدوا بتوحيد الله وعهده وميثاقه بعد أن آمنوا وصدقوا به، فمصيرهم عذاب الحريق أي النار، وأمّا الذين ابيضت وجوههم، فهم من ثبتوا على عهد الله وميثاقه، ولم يبدلوا دينهم فمصيرهم الجنة ونعيمها فيها خالدون، وهذه الآية قد وردت فيها كناية، من خلالها تم التطابق بين فئتين من الناس، فئة منهم من وسم باللون الأبيض تمثل كناية عن أهل الحق، وفئة أخرى وسموا بالسواد تمثل كناية عن أهل الباطل، وبذلك تعتبران حجتين تحملان قوة حجاجية تعمل على التأثير على المتلقي، من خلال توجيه عقله لتصور ما ألت إليه هاتان الآيتان من نتيجة تتمثل في منح بشارة لأصحاب الحق وتهويل أهل الباطل.

4 . الطباق: المطابقة في الكلام كما يعرفها أبو الهلال العسكري هي «الجمع بين الشيء وضده، في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل: الجمع بين البياض والسواد...، الليل والنهار... »، والطباق هو من المحسنات البديعية، له وظيفة حجاجية، لذلك يستعين به المتكلم لتقوية حججه وللتأثير على المتلقي. وقد ورد الطباق في سورة آل عمران من أجل الغرض السابق، وفي ما يلي بعض النماذج من السورة:

النموذج الأول:

قوله تعالى:«إِنَّ اللهَ لاَ يَخَفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي اَلْأَرْضِ وَلاَ فِي اَلْسَّمَاءِ»[1].

في هذه الآية توكيد الله على وحدانيته وألوهيته، حيث أثبت حجته على ذلك من خلال استعمال الطباق الذي هو عبارة عن وسيلة حجاجية بديعية، تملك بعدا جماليا، ولها وظيفة حجاجية تتمثل في إقناع السامعين، فالحجة البديعية تتمثل في: (الأرض والسماء) يتقابلان في المعنى، وهو طباق إيجاب، مكوّن من اسم باسم، أُعتُمد في السورة لإجراء موازنة بين الشيء وضده لكي يتبين من هذين النقيضين نتيجة تشملهما، فالمعنى المقصود في الحجة

[1]. سورة آل عمران، الآية5.

هي أنّ الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ولا يخفى عليه شيء وهذا المحسن البديعي قام بتوجيه المتلقي إلى الاقتناع بأنّ الله عالم بالكون.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَدّت طَّائِفَةٌ مِّنَ أَهْلِ اَلْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

تذكر هذه الآية جماعة من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) أنّها تتمنى أن تضل المؤمنين وتصدهم عن إيمانهم، والله يستبعد ضلالهم عن المؤمنين، بل يضلون ويهلكون أنفسهم بضلالهم، وسينالون بما يفعلون غضب الله وعقابه

تتضمن هذه الآية المحسن المعنوي المتمثل في الطباق (يضلّونهم وما يضلون) تقابل في المعنى بالنفي، ونوع هذا الطباق في هذه الآية طباق السلب، مكوّن من فعل بفعل، تتمثل قوته الحجاجية في توجيه وإقناع المتلقي بأنّ هناك طائفة تريد صد المؤمنين عن إيمانهم، لكن الله لم يسمح لهم بذلك و باءت محاولتهم بالفشل، وهذا المحسن البديعي يوضح المعنى المراد ويؤكده، فالحجج متضافرة من أجل نتيجة واحدة، الحجة الأولى (ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلّونكم) الحجة الثاني (وما يضلون إلا أنفسهم) وتخدم نتيجة واحدة وهي (من لا يشاء الضلال فإنّ الله لا يضله، فالله لا يضل المؤمنين)

النموذج الثالث:

قوله تعالى:﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]

(قل اللهم مالك الملك) أي أنّ االله مالك كل شيء في الدنيا والآخرة (توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) أي أنت المتصرف في الكون تهب الملك لمن تشاء، وتخلع الملك

[1]. سورة آل عمران، الآية 69.

[2]. المصدر نفسه الآية 26.

ممن تشاء (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) أي تعطي الملك والسلطان لمن تشاء وتذل من تشاء، أي تسلبه الملك وتسلط عليه العدو (بيدك الخير إنّك على كل شيء قدير) أي أنك من تقدر على ذلك، بيدك وحدك خزائن كل خير وقادر على كل شيء.

ورد في هذه الآية طباقان (تؤتي /تنزع) (تعز /تذل) وهو تقابل تضاد، تقابل بين فعلين أحدهما يثبت والأخر ينفي وهو طباق سلبي، من خلال هذا الطباق يحيل للمتلقي أنّ لله ملك كل شيء، وهو من يعطي ومن يأخذ، وهو من يعظم ويقلل من شأن عباده، فقد ورد هذا الطباق لبيان قدرة الله والتأكيد عليها.

النموذج الرابع:

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهاَ الذِينَ أَمَنُواْ لاَ تَكُونُوا كَالذِينَ كَفَرُوا وَقَالُواْ لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِنْدَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِم وَاللّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْلَمُونَ بَصِيرٌ﴾[1]

يخاطب الله في هذه الآية المؤمنين، ويحثهم على البقاء على إيمانهم، وأن لا يكونوا كالذين كفروا بالله فقالوا لإخوانهم الذين خرجوا للحرب أو سفرا للتجارة فماتوا على إثر ذلك، قالوا الكافرون لو بقوا معنا ما ماتوا وما قتلوا، ليجعلوا ذلك حسرة في قلوب المؤمنين.

والله يحي من يشاء كما يميت شاء، وهذا ترغيب من الله سبحانه وتعالى لحث المؤمنين على الصبر، فقد وُظّف في هذه الآية طباقان هما (أمنوا /كفروا) و (يحي/يميت) وهو تقابل بين فعلين إيجابيين، الهدف من هذا التقابل هو توجيه المتلقي إلى إدراك النتيجة الشاملة للآية المتمثلة في أنّ الله سبحانه وتعالى عالم ومدرك لعباده.

والنص القرآني بصفة عامة ثري بمثل هذه المحسنات التي تحمل بعدا حجاجيا وليس فقط جماليا.

[1]. سورة آل عمران، الآية 156.

5 . مقابلة: يعرف السكاكي المقابلة بأنّها «هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر، وبين ضديهما، ثم إذا اشترطت هنا شرطا شرطت هناك ضده، كقوله عزّ وجلّ ((فأمَّا من أعْطَى واتَّقَى وصدَّقَ بالحُسنَى فسنُيسّره لليُسرَى، وأمّا من بخلَ واستغْنى وكذَّبَ بالحُسنَى فسنُيسِّره للعُسْرَى»[1] تُعد المقابلة من المحسنات المعنوية التي تستهدف تحسين المعنى، ولا يوظف أسلوب المقابلة في جميع الأحوال لغرض تزيين العبارة، بل يبين هذا الأسلوب صورا حجاجية، فالمقابلة وسيلة حجاجية توضح المعنى وتفصح عن مقصد معين يرغب المتكلم من خلاله إحداث تأثير في المتلقي وإقناعه بفكرة ما .

النموذج الأول:

قوله تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ تُومِنُونَ بِاللهِ وَلَوَ اَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم مِّنْهُمُ المُومِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2]

فالمقابلة في الآية هي مقابلة اثنين باثنين (تأمرون بالمعروف) (تنهون عن المنكر) جاءت هذه المقابلة لتوضيح المعنى وتقريبه إلى أذهان للمتلقين، فيؤكّد الله سبحانه وتعالى أنّ أصحاب الرسول ومن صنع صنيعهم هم خير أمّة ويقدّم حججا لتثبيت ذلك، فالحجتان المتضافرتان (تأمرون بالمعروف) (وتنهون عن المنكر) فأصحاب الرسول ومن انتهج منهجهم هم خير أمة أُخرجت للناس، واستجابوا للإسلام، ويحسنون عملا، ويبعدون الناس عن الكذب والمعاصي وكل ما أنكره الله، وهذا التقابل في الكلام هو حجة للتأكيد أنّ أصحاب الرسول هم خير أمة.

[1] . السكاكي، مفتاح العلوم، ص424.

[2] سورة آل عمران، الآية 110.

نتائج الدراسة التطبيقية:

1 . بخصوص آليات الحجاج اللغوية: لقد تمّ الوصول، من خلال المبحث الأول من الفصل الثاني، إلى ما يلي:

_ ورود الروابط الحجاجية في سورة آل عمران بشكل وفير، وذلك من أجل بناء حجج أياتها بطريقة منتظمة، حيث يبدأ بحجج ضعيفة وصولا إلى القوية، وتقوم هذه الحجج بتوجيه المتلقي إلى استخلاص النتائج.

_ تساهم الروابط الحجاجية إمّا في تساوي الحجج وتعاونها لتحقيق نتيجة، وإمّا في تعارض الحجج لكي تحقق كل منها نتيجة معاكسة، فالحجج الواقعة بعد الروابط هي التي توصل إلى الغاية المقصودة من الآية، فسرد القصص في سورة آل عمران محملا بمجموعة الآليات الحجاجية (كقصة عيسى عليه السلام مع بنى اسرائيل في إثبات نبوته) يجعل من سورة آل عمران ذات مقصد، وتتمثل إقامة حجتها في إثبات أنّه رسول من عند الله بمجموعة من المعجزات، والغاية من سرد هذه القصة هي إثبات قدرة الله.

_ توفرت العوامل الحجاجية بكثرة في سورة آل عمران مقارنة بالروابط الحجاجية، نظرا لما تحمله من حصر وتخصيص في الكلام، والتي تقييد الإمكانات الحجاجية وتحصرها، منها (ما...إلاّ) و(ألا....إلاّ) و(لا...إلاّ)، فهي تقيد المتلقي حتى لا يلجأ إلى التأويلات التي تجعله يتخذها مقصد وهي غير ذلك.

2 . الآليات البلاغية الحجاجية: لقد توصلنا من خلال المبحث الثاني "الآليات البلاغية" إلى ما يلي:

_ من أهم الآليات البلاغية الحجاجية الأكثر ورودا في سورة آل عمران الاستعارة، وهي ذات تأثير أكبر في المتلقي، وفي جعله يستدرك المقاصد الضمنية من الآيات.

_ التشبيه القرآني يعد أهم طرق الاستدلال الحجاجي في سبيل الوصول إلى الإقناع، فالتشبيه التمثيلي الذي هو تشبيه بين صورة وأخرى قوته الحجاجية أقوى في التأثير على المتلقي، فدرجة قوته تحتل المرتبة الثانية بعد الاستعارة.

فالاستدلال الحجاجي في سورة آل عمران لم يبين حججه وفق المنطق الأرسطي، بل جاء مبينا تحريك وجدان المتلقي، وإعمال عقله من أجل الإقناع بما هو حق مع مراعاة أحوال المخاطبين الزمانية والمكانية.

_ ورود صور البيان في سورة آل عمران المتمثلة في الكناية، بوصفها آلية حجاجية التي يدخل فيها الجانب الحسي والعقلي، لأنّ القول المكنى عنه يستدعي بالضرورة عقل المتلقي للوصول إلى المعنى الضمنى للآية.

_ ورد الطباق في السورة بكثرة نظرا لما يحمله من معاني فمن خلاله يتبين للمتلقي مدى قدرة الله سبحانه وتعالى على الخلق، إضافة إلى قيمته الجمالية التي تعمل على تحفيز عقل المتلقي على إدراك مقاصد الآية. والشيء نفسه فيما يخص المقابلة.

خاتمـــــــــــــة

خاتمة:

أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

. أنّ مفهوم الحجاج مرتبط بالخطاب كونه لا وجود له بدون خطاب، ولا وجود لخطاب بدون حجاج، وهذا الأخير تربطه علاقة بمجموعة من المفاهيم التي يتشابك معها، منها: الخطابة، البرهان، الجدل، المغالطة، والهدف الأساس من الحجاج هو السعي من أجل التأثير وإقناع المتلقي.

. يرتبط الحجاج بالخطابة والجدل والبلاغة التي تُتّخذ كوسيلة للتأثير في المتلقي، من خلالها اهتم الفكر الإغريقي بموضوع الحجاج، وقد أولاه العرب اهتماما من خلال دراساتهم للبلاغة كوسيلة للفهم والإفهام والإقناع. وقد سبق علماء الغرب المحدثين العرب إلى إعادة قراءة الموروث الإغريقي القديم قراءة جديدة مع تطويرها باعتماد مناهج الحديثة.

. لقد تنوعت وسائل الحجاج في سورة آل عمران، وقد وُظفت هذه الوسائل لغرض استمالة المتلقي وتحذيره من الأشياء التي تضيع الثبات، وإقناعه بعوامل الثبات، باعتبار أنّ الحجج والبراهين هي وسيلة القرآن للتثبيت، فهو يقيم أدلة لإقناع الناس، وحجج الخطاب القرآني لا تقبل الطعن كونها خاضعة للعقل.

إنّ الخطاب القرآني من أهم الخطابات الحجاجية كونه كلام الله المعجز البليغ الذي لا تتغير قيمته الحجاجية عبر الأزمان، وينقل لنا الحقائق باعتماد أساليب إقناعية وأدلة عقلية لإقناع المرسل إليه، فتسرد السورة مثلا أحداث غزوة أحد التي أثرت على المسلمين كثيرا وتركت في نفوسهم أثرا وحسرة بسبب عصيانهم لأوامر الرسول (ص)، كما تقدم براهين لتثبت المؤمن فكريا، مع الاستعانة في ذلك بمجموعة من الآليات الحجاجية المتمثلة في الوسائل اللغوية والبلاغية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1 . المصادر:

- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط6، دار الفكر، دمشق _ سوريا، 1985.
- أبو الحسن حازم القرطاجني، منهج البلغاء وسراج الأدباء، ت: محمد حبيب بن الخوجة، دار الشرقية، تونس، 1966.
- أبو الحسين إسحاق بن إبراهيمي بن سليمان ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ت: حنفي محمد الشريف، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر،1969.
- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، اللمع في العربية، ت: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.
- أبو القاسم محمدو بن عمرو بن أحمد بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1986.
- أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهيل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري، كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر"، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1998.
- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفرسي، الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط3، دار المداني، جدة سعودية، 1992.
- أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، ط1، ج6، مؤسسة الرسالة، 2000، ص483.
- أبو فداء اسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، ط2، ج2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999.

- أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي، الجنى الداني في المعاني، ت: فخر الدين قباوة _ الأستاذ محمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان 1992.
- الجاحظ، البيان والتبين، ج1، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، 2002.
- جلال الدين محمد بن أمحمد المحلّي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: صبري محمد موسى ومحمد فايز كامل، ط3، دار الخير، سوريا، 2003.
- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1994.
- عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، مختصر تفسير البغوي، دار السلام للنشر والتوزيع، ط1، الرياض السعودية، 1995.
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، دار التونسية للنشر، تونس، 1984.
- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1997.
- وهبة بن مصطفى الزجيلي، تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، ج3، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا.
- يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ط2، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1987.

2 . القواميس اللغوية:

- ابن منظور، لسان العرب، مجلد1 و مجلد2، دار صابر، بيروت_ لبنان، 1993.
- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت: مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، ط 6، دار الفكر _ دمشق، 1985.

- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ط1، ج1، دار العلمية بيروت لبنان، 1998.
- أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، ط1، ج6، مؤسسة الرسالة، 2000 .
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، ج1 دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، 1987.
- جلال الدين محمد بن أمحمد المحلّي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: صبري محمد موسى ومحمد فايز كامل، ط3، دار الخير، سوريا، 2003.
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2005.
- يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1987.

3 . المراجع العربية:

- أبو بكر العزاوي:

_ الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، ط1، جدارا للكتب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن، 2017.

_ الخطاب والحجاج، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت لبنان، 2010.

_ اللغة والحجاج، ط1، دار الأحمدية، دار البيضاء، المغرب، 2006.

- بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل لنشر والتوزيع، قسنطينة الجزائر، 2018.
- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة تونس، 1998.
- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار إلى العقل في الحوار، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، 2010.

- سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2007.
- الشهيد مرتضي المطهري، المنطق، ط3، دار الولاء، بيروت لبنان،2011.
- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سوريا دمشق، 2008.
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، 1998.
- عايد جدوع حنون، الحجاج في كلام الإمام الحُسين، ط1، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، العراق، 2017.
- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير "مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج"، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006.
- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، دار الأمان، بيروت لبنان، 2013.
- عبد الله صولة:

_ نظريّة الحجاج دراسات وتطبيقات، ط1، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، 2011.

_ الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ط1، دار الفارابي، بيروت لبنان، 2011.

- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية لغوية، ط 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت_ لبنان، 2004.
- عز الدين النّاجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ط1، دار نهى، صفاقس تونس،2011.
- لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، 2014.

- مجموعة من المؤلفين، الحجاج مفهومه ومجالاته "دراسة نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة"، ط1، دار الروافد الثقافية، بيروت لبنان، 2013.
- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي "مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية"، ط2، إفريقيا الشرق، المغرب، 2002.
- محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت_لبنان، 2014 .
- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، 2008.
- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب،2005.
- محمود عكاشة:

_ تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة "دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم"، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، 2014.

_ تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، ط1، مكتبة الرشد، السعودية، 2014.

- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، ط1، عالم الكتب الحديث، 2009.

4 . المراجع المترجمة:

- باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمّادي صمّود، المركز الوطني لترجمة، ، تونس، 2008.
- جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعيّ للتّداولية، تر: مجموعة من الأستاذة والباحثين، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، 2010.
- جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار توبقال لنشر، المغرب، 1996.

- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.
- روبير بلانشي، الاستدلال، تر: محمود اليعقوبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة مصر، 2002.
- سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، 2016.
- فليب برتون، جيل جوتيبه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، ط1، مركز النشر العلمي، جدة السعودية، 2011.
- وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط1، دار الثقافة لنشر والتوزيع، القاهرة_ مصر، 1984.

5 . رسائل وبحوث:

- أبو بكر زروقي، الخطاب الحجاجي في صحيح البخاري دراسة تداولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2017/2016.
- حياة دحمان، تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستر، جامعة الحاج لخضر، باتنة الجزائر، 2013/2012.
- زقرور نجمة، البنية الحجاجية في قصص الأنبياء دراسة في ضوء تحليل المحدثات، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة محمد دباغين، سطيف الجزائر، 2018/2017،
- عبد الباسط ضيف، المشروع البلاغي عند محمد العمري بحث في بلاغة الحجاج – دراسة تفاضلية– ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في إطار مدرسة الدكتوراه، قسم اللغة والأدب، جامعة الجلفة، 2016، 2017.

- قعموسي عبد القادر، الخطاب الحجاجي في الفكر النقدي المعاصر "البلاغة والسرد لمحمد مشبال"، أطروحة التخرج لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018.

6 . المجالات والدوريات:

- أوروك للعلوم الإنسانية، العدد الرابع، جامعة المثنى، العراق، ع 4، المجلد9، 2016.
- عباس حشاني، "مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته"، مجلة المخبر، ع9، مخبر أبحاث في اللغة الأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2013.
- العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثالث، تصدرها جامعة محمد بوضياف، جامعة المسيلة، 2018.
- مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثالث، تصدرها جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2018.

7 . المراجع الإلكترونية:

- سليمة محفوظي، عاملية أدوات النفي الحجاجية، منتديات واتا الحضارية www.wat.cc، PM04/01/2012 6:56.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة

الفصل الأول: الحجاج في الدراسات الغربية والعربية

المبحث الأول: بعض المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها البحث

1 . تعريف الحجاج 11

1 . 1 . لغة 11

1 . 2 . اصطلاحا 13

2 . تعريف الخطاب 15

2 . 1 . لغة 15

2 . 1 . اصطلاحا 16

3 . تعريف الخطاب الحجاجي 18

4 . تعريف الخطاب القرآني 21

5 . الحجاج والمصطلحات المرتبطة به 23

5 . 1 . الحجاج والبرهان 23

5 . 2 . الحجاج والجدل 24

5 . 3 . الحجاج والإقناع 25

5 . 4 . الحجاج والمغالطة 27

6 . التعريف بمدوّنة البحث 28

المبحث الثاني: الحجاج في الدراسات الغربية والعربية القديمة

1 . الحجاج في الدراسات الغربية القديمة 34

1 . 1 . الحجاج عند السفسطائيين 34

1 . 2. الحجاج عند أفلاطون 37
1 . 3 . الحجاج عند أرسطو 39
2 . الحجاج في الدراسات العربية القديمة 43
2 . 1 . الحجاج عند الجاحظ 44
2 . 2 . الحجاج عند إسحاق بن وهب 47
2 . 3 . الحجاج عند السكاكي 49

المبحث الثالث: الحجاج في الدراسات الغربية والعربية الحديثة

1 . الحجاج في الدراسات الغربية القديمة 52
1 . 1 . الحجاج عند بيرلمان وتيتكا 52
1 . 2. الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر 57
1 . 3 . نظرية المساءلة لـ ميشال مايير 61
2 . الحجاج في الدراسات العربية الحديثة 62
2 . 1 . الحجاج عند أبو بكر العزاوي 63
2 . 2 . الحجاج عند محمد العمري 65
2 . 3 . الحجاج عند طه عبد الرحمن 68
2 . 4 . الحجاج عند عبد الله صولة 72

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوية والبلاغية في سورة آل عمران

المبحث الأول: الآليات اللغوية

أولا . الروابط الحجاجية في سورة آلا عمران..... 77
1 . تعريف الرابط الحجاجي 77
2 . نوع الروابط الحجاجية في سورة آل عمران 78

2 . 1 . الرابط حتى 78
2 . 2 . الرابط الكن 82
2 . 3 . الرابط بل 85
ثانيا . السلالم الحجاجية 88
1. القسم الحجاجي 88
2 . السلم الحجاجي 89
3 . قوانين السلم الحجاجي 90
4 . وسائل السلم الحجاجي 92
ثالثا . العوامل الحجاجية 98
1 . تعريف العوامل الحجاجية 98
2 . أنواع العوامل الحجاجية في سورة آل عمران 99
2 . 1 . عاملية أدوات القصر الحجاجية 99
2 . 1 . 1 . عاملية (ما...إلاّ) 99
2 . 1 . 2 . عاملية (لا ...إلاّ) 102
2 . 1 . 3 . عاملية (ألاّ ....إلاّ) 104
2 . 1 . 4 . عاملية إنّما 106
2 . 2 . عاملية أدوات النفي 109
2 . 2 . 1. عاملية (لن) 110
2 . 2 . 2 . عاملية (لا) 111
2 . 2 . 3. عاملية (ليس) 113
2 . 2 . 4 . عاملية التوكيد 114
2 . 2 . 5 . السلالم الحجاجية 116

المبحث الثاني: الآليات البلاغية 123

1 . الاستعارة 126

2 . تشبيه 131

3 . الكناية 134

4 . الطباق 136

5 المقابلة 138

الخاتمة 142

قائمة المصادر والمرجع 145

فهرس الموضوعات 153

ملخص :

يتناول هذا البحث بعض الآليات الحجاج اللغوية والبلاغية في القرآن الكريم سورة آل عمران أنموذجا.

لقد شكل موضوع الحجاج محور اهتمام العلماء والباحثين قديما وحديثا، إذ اهتم به الفلاسفة والبلاغيون واللغويون، فقد بدأ البحث في هذا الموضوع عند الإغريق من خلال دراساتهم للخطابة والجدل والبلاغة، كما اهتم العرب بهذا الموضوع وأولوه اهتماما كبيرا، ثم تعرض للركود لعدة قرون، وفي منتصف القرن العشرين برز تيار جديد يسمى بالتيار التداولي الذي ترعرع في أحضان الفلسفة التحليلية والمهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، حيث استفادت التداولية من حقول معرفية مختلفة، فاستحدثت منهجا جديدا ومفاهيم وأسس لدراسة اللغة دراسة وظيفية بالتركيز على الجانب الاستعمالي التداولي للغة، وقد شكّل الحجاج مبحثا أساسيّا من مباحثها سعيا إلى تحليل اللغة تحليلا يكشف عن الاستراتيجيات والطرق والآليات التي يلجأ إليها مستعمل لغة لاستمالة المتلقي والتأثير فيه عن طريق الحجج ودفعه إلى الإذعان والتسليم بالقضية المرغوب في إقناعه بها، وهذا ما حفّز العلماء كذلك على إحياء التراث البلاغي القديم تحت تسمية البلاغة الجديدة والتي يشكل الحجاج واحدا من أهدافها.

ويتضمن البحث مقدمة، وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول عنوانه الحجاج في الدراسات الغربية والعربية ويتضمن ثلاثة مباحث.

الفصل الثاني فعنوانه بعض آليات الحجاج اللغوية والبلاغية في سورة آل عمران.

أما الخاتمة فتتضمن نتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

الكلمات المفتاحية :

الحجاج، الخطاب، البرهان، الجدل، الإقناع، المغالطة، الآليات اللغوية، الآليات البلاغية.